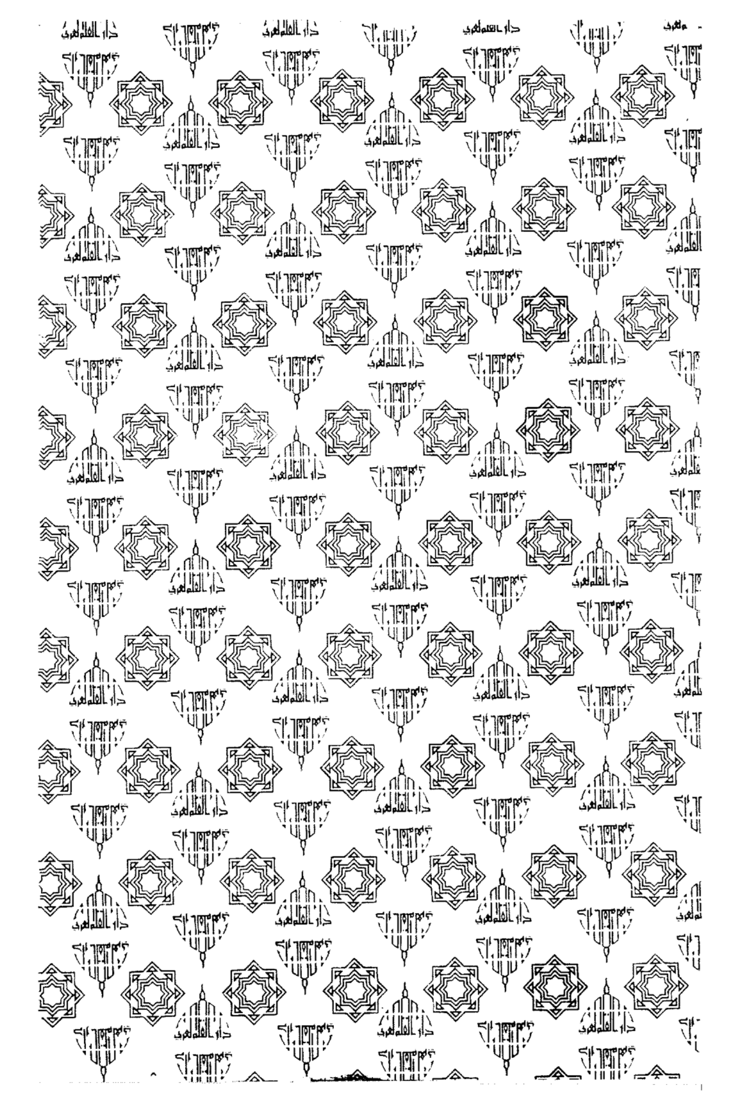
معارك عربية إسلامية خالدة

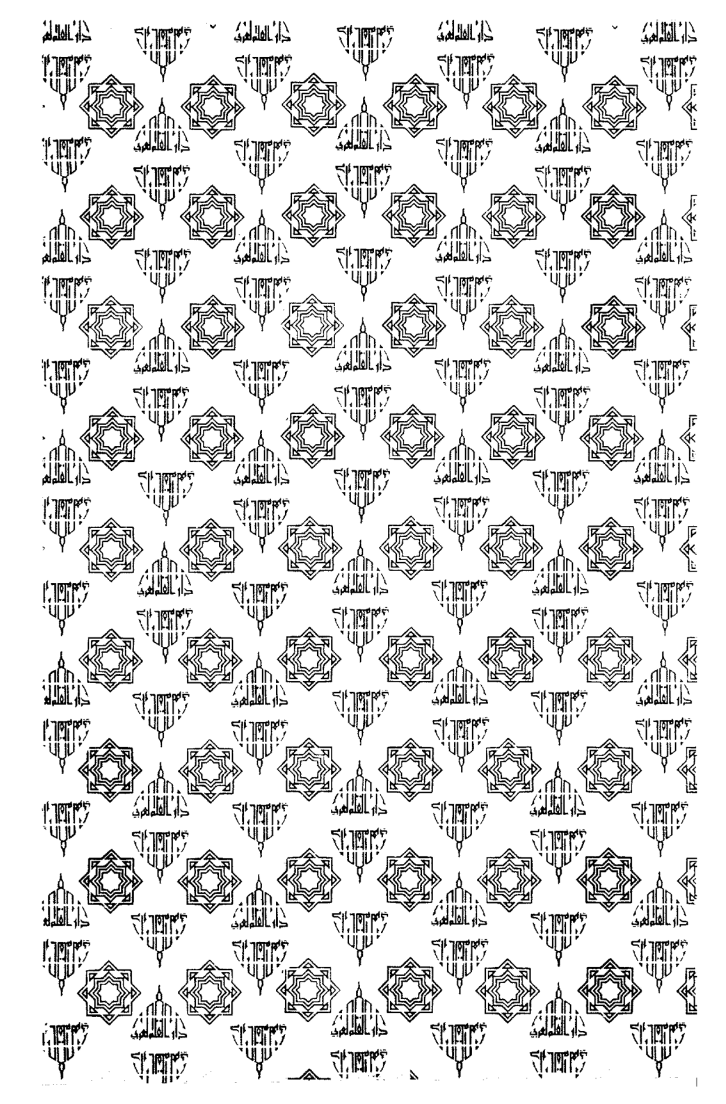
٥ - معركة حنين

٦ - معركة اليمامة



دار القلم العربي

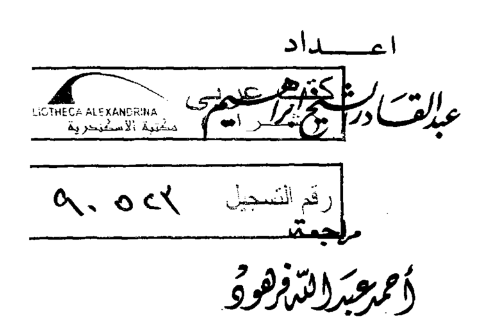

دار القلم العربي



معارك عربية خالدة

٥

مَعركةُ حُنين



اعـــداد

عبدالقادر شيخ ابراهيم عيسى

مراجعة

أحمد عبدالله فرهود

دار القلم العربي

وقال الواقدي: خرج رسولُ الله ﷺ إلى هوازن لستٍ خلون من شوالَ فانتهى إلى حنينٍ في عاشرِه.

ثانياً: سببُ تسميتِها.

سُمَيتْ بمعركةِ حنينٍ نسبةً إلى المكانِ الذي وقعَتْ فيه أو هو وادٍ من أوديةِ تهامةَ بين مكةَ والطائفِ حيثُ كانتِ الوقعةُ بين المسلمين وهوازن.

وانصرف لفظُ (حنينٍ) لأنه اسمٌ منكرٌ وهي لغةُ القرآنِ. قال القرطبي: ومن العربِ مَنْ لا يصرفُهُ بجعلِهِ اسماً للبقعةِ وأنشد: [1]

نصروا نبيَّهم وشدّوا أزرَهُ   بحنينَ يومَ تواكلِ الأبطالِ

ثالثاً: أسبابُها.

لمّا فتح اللهُ عز وجل على نبيهِ ﷺ مكةَ، ودخلها منتصراً مظفراً، وأسلَمَ جميعُ أهلِها، ودخلوا في دينِ اللهِ أفواجاً، اغتاظتِ القبائلُ العربيةُ من هذا الفتحِ العظيمِ، ولِما رأوا من كثرةِ المسلمين وقوتِهم، وانتصارِهِم في جميعِ الغزواتِ والمشاهدِ لا سيما وقد تُوِّجَتْ هذه الانتصاراتُ بنصرٍ عظيمٍ، وفتحٍ مبينٍ.

---

(١)هو حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ

شعر زعماءُ تلك القبائلِ بأن المسلمين أصبحوا يشــكلون خطراً على سيادتِهم ومصالحِهم وعقيدتِــهم، فجمعــوا كلمتَــهم، ووحّدوا صفَّهم، وكوَّنوا جبهةً قويةً متراصةً لقتـــالِ المســلمين، وكسرِ شوكتِهم قبل أن يقومَ المسلمون بمهاجمتِهم خاصة بعد أن زحفوا علىَ مكةَ وفتحوها بكلِ يُسرٍ وسهولةٍ، وبدونِ قتالٍ، الأمـرُ الذي أثار حفيظةَ زعماءِ القبائل وجعلهم يتراسلون للتشاورِ بشـأنِ القضاءِ على المسلمين قبل أن يستفحلَ أمرُهم ويشــكلوا خطــراً عليهم.

والذي زاد دَهَشَهم، وقذفَ الرعبَ في قلوبــهم ســرعةُ انتشارِ الإسلامِ في الجزيرةِ العربيةِ وما حولَها وإقبـــالُ النـــاسِ عليه وتفاعلُهم معه، وهُمُ الذين يعلمــون أن محمــداً ﷺ بــدأ دعوتهُ وحيداً، ثم هاجر إلى المدينةِ ليعودَ بعد بضعِ ســنينَ إلــى مكةَ بلدِهِ الأولِ على رأسِ عشرةِ آلافِ مقـــاتلٍ، الأمــرُ الــذي أذهلَهم وأدهشهم وجعلهم يوحّدون صفَّهم ليقفوا صفــاً واحــداً، وجبهةً واحدةً أمام الزحفِ الإسلامي الهادر.

تأليبُ المشركين

رأى المشركون أنَّ عليهم أن يكونوا يداً واحدةً لمواجهةِ المسلمين الذين أخذوا ينتقلون من جهادٍ إلى جهادٍ، ومن نصرٍ إلى نصرٍ، ومن فتحٍ إلى فتحٍ.

والذي قام بتأليبِ الناسِ مالكُ بنُ عوفٍ النصريُّ الذي اتصل بزعماءِ القبائلِ، وأخذ يؤلبُهم على قتالِ المسلمين، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيفٌ كلُّها، كما اجتمعَتْ قبائلُ نصرٍ وجُشَمٍ، وسعدُ بنُ بكرٍ، وناسٌ من بني هلالٍ، وجعلوا القيادةَ لمالكِ بنِ عوفٍ.

وكان في ثقيفٍ سيدان لهما خبرةٌ في الحربِ وتجربةٌ في فنِ القتالِ وإدارةِ المعاركِ والتخطيط لها.

وفي الأحلافِ قاربُ بنُ الأسودِ بنِ مسعودِ بنِ مُعتِّب.

و في بني مالكٍ ذو الخمارِ سُبَيعُ بنُ الحارثِ بنِ مالكٍ وأخوه أحمرُ بنُ الحارثِ .

وفي جشمٍ دُريدُ بنُ الصمّةِ، وكان شيخاً كبيراً ذا حنكةٍ ودرايةٍ واسعةٍ في أمورِ الحربِ والمكيدةِ، ولم يكن له في الأمرِ شيءٌ سوى التيمنِ برأيِهِ والاستعانةِ بخبرتِهِ.

وهكذا اجتمعت تلك القبائل صفاً واحداً وقد بلــــغ عــددُ مقاتليها ثمانيةَ آلافِ مقاتلٍ، وقيل:أربعـــةَ آلافٍ، وجمــاعُ أمــرِ هؤلاء إلى مالكِ بنِ عوفٍ النصريِ الذي أخـــرج مـــع الكفــارِ نساءَهم وأموالَهم وأولادَهم ومواشيَهم معتقداً أن ذلك يجعلُهم أكثر حماسةً وأشدَّ قوةً عند لقاءِ المسلمين، وانطلق بـــهم حتـــى بلــغ أوطاسَ[1] وكان معهُ دريد بنُ الصمةِ، فقال: بأيِ وادٍ أنتم... ؟

قالوا: بأوطاسٍ.

قال: نِعمَ مجالُ الخيلِ ... ! لاحزنٌ[2] ضرس، ولاســهلٌ دهس[3]، مالي أسمعُ رغاءَ البعـــيرِ، ونُـــهاقَ الحمــيرِ، وبكــاءَ الصغيرِ، ويُعارَ الشاءِ[4]...؟

قالوا: ساق مالكُ بنُ عوفٍ مع الناسِ أموالَهم ونســـاءَهم وأبناءَهم.

قال: أين مالكٌ...؟

---

(١) أوطاس: وادٍ في ديار هوازن وفيه كانت معركة حُنين، وفيها قال النبي ﷺ حيــن استعرتِ الحربُ: الآن حمي الوطيسُ، وهي عبارة أول من قالها النبي ﷺ، ولم يُســبق إليها.

(٢) الحزن: المرتفع من الأرض، والضرس: الذي فيه حجارة محددة.

(٣) الدهس: اللين الكثير التراب، يريد أنه موضع مناسب للقتال.

(٤) رغاء البعير، ونهاق الحمير، ويعار الشاء: أصواتها

قيل:هذا مالكٌ، ودُعيَ له ،فقال:يامالكُ، إنك قـد أصبحَـت رئيسَ قومكَ، وإن هذا يومٌ كائنٌ له مابعده من الأيام، مالي أسمَعُ رُغاءَ البعيرِ، ونهاقَ الحميرِ، وبكاءَ الصغيرِ،ويُعارَالشاءِ... ؟

قال: سُقتُ مع الناسِ أموالَهم وأبناءَهم ونساءَهم.

قال: ولِمَ ذاكَ...؟

قال: أردتُ أن أجعلَ خلفَ كلِ رجلٍ منهم أهلَـهُ ومالَـهُ ليقاتلَ عنهم.

فزجره دريدٌ وقال له: راعي ضأنٍ، واللهِ، وهـل يـردُّ المنهزمَ شيء؟ إنها إن كانت لك لـم ينفعْـكَ إلارجـلٌ بسـيفِهِ ورمحِهِ، وإن كانت عليك فُضِحْتَ في أهلِكَ ومالك.

ثم قال: مافعلَتْ كعبٌ وكلابٌ...؟

قالوا: لم يشهدْها منهم أحدٌ.

قال: غاب الحدُّ والجدُّ[1]، ولو كان يومَ علاءٍ ورفعةٍ لـم تغِبْ عنه كعبٌ ولاكِلابٌ، ولودِدْتُ أنكم فعلتـم مـافعلَتْ كعـبٌ وكِلابٌ، فمن شهِدَها منكم...؟

قالوا: عمروبنُ عامرٍ، وعوفُ بنُ عامرٍ.

---

(١) الحدُ والجدُ: يريد الشجاعة والحدة.

قال: ذانِكَ الجذعان[1] من عامرٍ لاينفعان ولايَضُران، ياماللكُ،إنك لم تصنع بتقديمِ البيضةِ، بيضةِ[2] هوازن إلى نحورِ الخيلِ شيئاً، ارفعهُمْ إلى مُتَمَنَّعٍ بلادِهم، وعُليا قومِهم ثم الق الصُّبَّاءَ[3] على متونِ الخيلِ، فإن كانت لك لَحِقَ بك مَنْ وراءَك، وإن كانَتْ عليك ألفاك ذلك قد أحرزتَ أهلَكَ ومالَكَ.

وكان دريدُ بنُ الصمّةِ أرجحَ القومِ عقلاً، وأعلاهم رأياً، وأكثَرهم خبرةً بالحروبِ، وتجربةً بالرجالِ، وكان قد أسَنَّ حتى بلغ مائةً وعشرين سنةً كما قيل، وقيل: أكثرَمن ذلك، وفي روايةٍ:أنه قال لمالكٍ:

ياماللكُ، إنك مقاتلٌ رجلاً قد أوطَأَ العربَ، وخافَتْهُ العجمُ، وأذلَّ اليهودَ وأجلاهم...

فقال مالكٌ: لانخالفُك في أمرٍ تراهُ.

فقال دريدٌ: مالي أسمعُ هذه الضوضاءَ...؟

فقال مالكٌ: سقتُ مع الناسِ أبناءَهم ونساءَهم وأموالَهم ليكونَ خلفَ كلِ رجلٍ أهلُهُ ومالُهُ يقاتلُ عنهم.

---

(١) الجذعان: الضعيفان في الحرب، بمنزلة الجذع في سنه.

(٢) بيضة هوازن: جماعتهم.

(٣) الصباء: جمع صابيء، ويقصد بهم المسلمين لأنهم خرجوا عن دين الجاهلية إلى الإسلام.

فقال دريدٌ: وهل يَرُدُّ المنهزمَ شيءٌ...؟ فإن كانت لك فذاك، وإن كانت عليكَ فُضِحْتَ في أهلِكَ ومالِكَ.

ولكنَّ مالكَ بنَ عوفٍ تمسك برأيه، وأبى أن يتخلّى عن خطَّتهِ، ورفضَ أن يطيعَ دريداً لاعتقادِهِ أنه لم يَعُدْ يستطيعُ إبداءَ الرأي الصائبِ بسببِ كبرِ سنهِ، بينما كان مالك في ريعانِ شبابهِ وعنفوانِهِ، وأوجِ قوتِهِ وحيويتِهِ، فقد كان ابنَ ثلاثين سنةً.

وبسببِ ذلك وقع الخلافُ بينهما، وغضب دريدٌ واعتزل القومَ، ولم يشاركْهم في القتالِ، ولربما كان هذا لصالحِ المسلمين..!!

خاصةً وقد قال مالكٌ لدريدٍ: إنك قد كبرتَ وكبرَ عقلُكَ، واللهِ لتُطيعنَّني يامعشرَ هوازن أولأتكِئَنَّ على هذا السيفِ حتى يخرجَ من ظهري، وكَرِهَ أن يكونَ لدريدِ بنِ الصمّةِ في القتالِ ذكرٌ أو رأيٌ، فقال له القومُ: أطعناك، فقال دُرَيدٌ: هذا يومٌ لم أشهدْه، ولم يفُتني، ثم قال:

ياليتني فيها جَذَعْ	أخُبُّ فيها و أضَعْ [1]
أقودُ وطفاءَ الزمَعْ	كأنها شاةٌ صَدَعْ [2]

---

(١) الجذع: الشاب، والخبب والوضع: ضربان من السير. (٢) الوطفاء: الطويلة الشعر، الزمع: الشعر يكون فوق مربط قيد الدابة، والشاة: الوعل ، وصدع:وعل ليس بالعظيم و لاالحقير.

وأغمَدَ سيفَهُ، واعتزل القومَ.

ووقف مالكُ بنُ عوفٍ أمام الناسِ يحضُّهم على القتالِ، ويشجعُهم على الثباتِ في وجهِ المسلمين فقال: إذا رأيتموهم فاكسِروا جفونَ سيوفِكم، ثم شُدُّوا شدةَ رجلٍ واحدٍ.

ثم بعث عيوناً[1] من رجالهِ يرصدون له تحركاتِ المسلمين، فرجعوا إليه وقد أصابهمُ الرعبُ وتفرقَتْ أوصالُهم، فقال: ويلكم، ماشأنُكم...؟

فقالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيلٍ بلقٍ، فوالله ماتماسكنا أن أصابَنا ماترى.

ومع ذلك لم يَثْنِهِ هذا النبأُ عن عزمِهِ على الرحيلِ، وإصرارِهِ على قتالِ المسلمين.

---

(١) العيون: الجواسيس.

استعدادُ الرسولِ ﷺ للقاءِ هوازن

بلغتِ الأخبارُ رسولَ الله ﷺ أن المشــركين اجتمعــوا لقتالِهِ، فبعث عيونَهُ ليأتوه بالخبرِ اليقين عــن اســتعدادِ هــوازن وغيرِها للقتالِ، فرجعوا فأخبروه أن القومَ قد أجمعوا على حربِهِ، وأن عليهم مالكَ بن عوفٍ النصري.

فلما علم رسولُ الله ﷺ بذلك وأخذ من عيونِــهِ الخــبرَ اليقينَ لبسَ عدةَ الحربِ، وعبَّأ جنودَهُ وجعلَ قيــادةَ المــهاجرين لعلي بن أبي طالبٍ، وقيادةَ الأوسِ لأُسَيدِ بنِ حُضَــير، وقيــادةَ الخزرجِ للحُباب بنِ المنذر، ثم انطلق يقودُ ذلك الجيــشَ الــذي بلغَتْ عدتُهُ اثني عشَرَ ألفاً، عشرة آلاف منهم كانوا قدِموا معــه لفتحِ مكةَ، وألفان من الذين أسلموا مــن قريــشٍ بعــد الفتــح، واستعمل على مكةَ نائباً عنه عتابَ بنَ أُسَيدٍ، ومن الجديرِ بــالذكرِ أن ثمانين رجلاً من المشركين خرجوا مع رسولِ ﷺ لشدِّ أزرِهِ والقتالِ معه كراهيةَ أن يتغلَّبَ الأعرابُ علــى قريــشٍ، وفــي الأعرابِ غلظةٌ وجفوةٌ و[1]غشمريةٌ ليست لقريشٍ.

ومن المشركين الذين خرجــوا مــع رســولَ الله ﷺ

---

(١) الغشمرية: الظلم والكبر

صفوانُ بنُ أميةَ، وسُهيلُ بنُ عمروٍ، وكان عند صفوانَ بنِ أميةَ دروعٌ وأسلحةٌ كثيرةٌ فأراد رسولُ الله ﷺ أن يستعيرَ منه بعضَها فقال له: يا أبا أميةَ، أعِرنا سلاحكَ هذا نلقَ فيه عدوَنا غداً.

فقال صفوانُ: أغصباً يا محمدُ...؟

قال: بل عاريةٌ ومضمونةٌ حتى نؤديها إليك.

قال: ليس بهذا بأسٌ، وأعطاه مائة درع، وما يحتاجه من سيوفٍ ورماحٍ فلما عبأ رسول الله ﷺ جيشَه وسار به رأى بعضُ المسلمين كثرتَهم فتداخلهم شيءٌ من الزهوِ والعجب فقالوا: لن نهزمَ اليومَ من قلةٍ.

ثم انطلق رسول الله ﷺ بأصحابِهِ، وانحدر في الوادي عند غبشِ الصبحِ وكان المشركون قد كمنوا له في بعضِ شعابِ ذلك الوادي ومضايقِهِ دون أن يشعر رسولُ الله ﷺ والمسلمون بكمينِ المشركين.

هولُ المفاجأةِ

بينما كان المسلمون يمشون في مضـــايقِ وادي حُنيـــنِ للقاءِ هوازنَ لم يشعروا إلاّ وقدِ انقضَّ عليهم فرسانُ المشـــركين من كلِ جانبٍ، فما لبثوا أن حملوا عليهم حتى هربوا فـــي كـــلِ جهةٍ، يقولُ البراءُ بنُ عازبٍ ﷺ: فأكببنا على الغنائمِ، فخــــرج علينا مَنْ كانوا كامنين فـــي الشـــعابِ والمضـــايقِ واســـتقبلونا بالسهامِ، فولينا مدبرين لايلوي أحدٌ مِنّا على أحدٍ.

ويقولُ جابرُ بنُ عبد الله ﷺ : لما استقبلْنا واديَ حُنيـنِ، انحدرْنا في وادٍ من أوديةِ تهامةَ أجوفَ ذي حطوط، إنما ننحـــدرُ فيه انحداراً، قال: وفي عمايةِ الصبحِ وكان القومُ قد سبقونا إلـــى الوادي، فكمنوا لنا في شعابِهِ وأحنائِهِ[١] ومضايقِهِ وقـــد أجمعـــوا وتهيَّؤوا وأعدوا، فو اللهِ ما راعَنا ونحن[٢] منحطون إلا الكتـــائبُ وقد شدُوا علينا شدةَ رجلٍ واحدٍ، وانشمر[٣] النـــاسُ راجعيـــن لا يلوي أحدٌ على أحدٍ. وهرب المســـلمون مـــن أرضِ المعركـــةِ، وتفرقوا في كلِ جهةٍ لشـــدةِ ماأصابـــهم مـــن هـــولِ المفاجـــأةِ، وانقضاضِ المشركين عليهم بغتةً، ولقد بلغ بعضُهم مكةَ هـــاربين

(١) أحناء الوادي: جوانبه، والأجوف: المتسع، حطوط: منحدر. (٢) منحطون: نـــازلون في منحدر الوادي. (٣) انشمر الناس: انفضّوا وهربوا.

متقهقرين، ليصلَ الخبرُ إلى أهلِها، وكان منهم مَـــنْ لا يزالــون على شركِهِم ففرحوا بذلك فرحاً شديداً، فكان ذلك مدعاةً لظــهورِ ماأكنوهُ في قلوبِهِم، وأسرّوهُ في نفوسِهِم فقال بعضُهم وهو يعــبرُ عن فرحتِهِ ويظهرُ شماتَتَهُ بهزيمةِ المسلمين: انتهى أمر الإســلامِ وغداً يرجعُ العربُ إلى دينِهِمُ الأولِ، فإن هذه الهزيمةَ لا تقـــفُ دون البحرِ.

وقال هشامُ بن كَلَدَةَ وكان أخاً لصفوانَ بنِ أميةَ لأمِــهِ: بطل سحرُ محمدٍ.

فقال له أخوه صفوانُ ولم يكُنْ قد أسلم بعدُ: اسكُتْ فـضَّ اللهُ فاكَ، فو اللهِ لأن يربَّني[1] رجلٌ من قريشٍ أحبُّ إليَّ مـــن أن يربّني رجلٌ من هوازنَ.

ومرَّ بصفوانَ رجلٌ من المشركين فقال له: أبشرْ بهزيمةِ محمدٍ وأصحابِهِ فو اللهِ لا يجبرونها أبداً.

فغضب صفوانُ وقال: أتبشّرُني بظــهورِ الأعــرابِ...؟ فواللهِ لربٌّ من قريشٍ[2] أحبُّ إليَّ من رجلٍ من الأعرابِ.

وردَّ عكرمةُ بنُ أبي جـــهلٍ علـــى مَـــنْ قـــال: واللهِ لا يجبرونها أبداً، قائلاً: ليس هذا لك ولا بيدِكَ، الأمرُ بيد اللهِ ليـــس

---

(١) يربني: أي يملكني. (٢) لرب من قريش: معناه ملك منها.

إلى محمدٍ منه شيءٌ، إن[1] ديلَ عليه اليومَ، فإن له العاقبةَ غداً.

وفي هذه اللحظاتِ الرهيبةِ والقاسيةِ وقد هرب المسلمون وأخلَوا أرضَ المعركةِ ولم يبقَ مع رسولِ الله ﷺ إلا حوالي ثمانين مقاتلاً يدافعون عنه ويقاومون جموعَ المشركين، إذ تقدَّمَ شيبةُ بنُ عثمانَ بنِ أبي طلحةَ منتهزاً هذه الفرصةَ لقتلِ النبي ﷺ فقال: اليومَ أدركُ ثأري من محمدٍ، وكان أبوه قد قُتِلَ يومَ أحدٍ.

يقولُ شيبةُ متحدثاً عما حدث معه يومئذٍ: فأدرتُ برسولِ الله لأقتلَهُ، فأقبل شيءٌ حتى تغشّى فؤادي، فلم أُطِقْ ذاك وعلمتُ أنه ممنوعٌ مني.

(١) إن ديلَ عليه اليوم: أي إن كانت الكرة عليه اليوم، فإن له العاقبة غداً، والعاقبة للمتقين.

ثبات المسلمين مع رسولِ الله ﷺ

أما المسلمون الذين عصمهُمُ اللهُ تعالى وثبَّـتَ قلوبَـهم للدفاعِ عن رسولِ الله ﷺ فقد ثبتوا في أماكِنِهم يدافعون عن نبيهم بكلِ ما أوتوا من صبرٍ وشجاعةٍ وعزيمةٍ وثبات، معتقدين أنّ هذه الهزيمةَ ليس معناها القضاءَ على الإسلامِ وزوالَ دينِ اللهِ من الأرضِ، فإن اللهَ عز وجل مظهرُ دينِهِ ونبيّه على الدينِ كلِهِ كما وعد بذلك اللهُ عز وجل بقولـه:[1] ﴿ **يريدون أن يطفئوا نورَ اللهِ بأفواهِهِم ويأبى اللهُ إلا أن يُتِمَّ نوره ولو كَرِهَ الكافرون. هو الذي أرسل رسولَهُ بالهدى ودينِ الحقِ ليظهرَهُ على الدينِ كلِهِ ولو كرِهَ المشركون** ﴾.

وهُمُ الذين يتلون قولَ الحقِ تبارك وتعالى:[2] ﴿ **وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلَتْ من قبلِهِ الرسُلُ أفإن مات أو قُتِلَ انقلبتمْ على أعقابِكم ومَنْ ينقلِبْ على عقبيهِ فلن يضرَّ اللهَ شيئاً وسيجزي اللهُ الشاكرين** ﴾ وهُمُ الذين يعلمون أن الأمرَ بيدِ الله، وأن الإنسانَ لا يموتُ إلا بيومِهِ وساعتِهِ [3] ﴿ **ولكلِ أمةٍ أجلٌ فإذا جاء أجلُهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون** ﴾.

---

(١) الآيتان ٣٢ــ٣٣من سورة التوبة. (٢) الآية ١٤٤من سورة آل عمران. (٣) الآية ٣٤ من سورة الأعراف.

﴿ وما كان لنفسٍ أن تموتَ إلا بإذنِ الله كتاباً مؤَجَّــلاً ومن يُرِدْ ثوابَ الدنيا نؤْتِهِ منها ومن يُرِدْ ثوابَ الآخــرةِ نُؤْتِــهِ منها وسنجزي الشاكرين. وكأينْ من نبيٍّ قاتلَ معه رِبّيّون كثـيرٌ فما وهنوا لما أصابهم في سبيلِ الله وما ضَعُفوا وما اســتكانوا والله يحبُّ الصابرين. وما كان قولَهم إلا أن قالوا ربَنا اغفِرْ لنــا ذنوبَنا وإسرافَنا في أمرِنا وثبّتْ أقدامَنا وانصُرْنا علـــى القــومِ الكافرين. فآتاهُمُ اللهُ ثوابَ الدنيا وحُسْنَ ثـــوابِ الأخــرةِ واللهُ يحبُّ المحسنين ﴾ [1] فمن كان يتلو هذه الآياتِ الكريمةَ صبــاحَ مساءَ مع فهمٍ وتدبرٍ يُدرِكُ تمامـــاً أن النصــرَ بيــدِ الله، لقولــهِ تعالى:[2]﴿ وما النصرُ إلاّ من عندِ الله ﴾.

ومن ثَمَّ يندفعُ كالبركان الهادرِ يقاتلُ في ســبيلِ الله، ذوداً عن دينِهِ وعقيدتِهِ، ودفاعاً عن رسولِهِ ﷺ وعرضِــهِ وأرضِــهِ وشرفِهِ وكرامتِهِ.

(١) الآيات ١٤٥ــ١٤٨ من سورة آل عمران. (٢) الآية ١٢٦ من سورة آل عمران.

نزول السكينة على الرسول والمؤمنين

هربَ معظمُ المسلمين من هولِ المفاجأةِ كما تقدم وبقـــي النبيُّ ﷺ ثابتاً مكانه، صامداً في وجهِ المشركين يقاتلُهم، ويدفـعُ عن نفسِهِ بأسَهم وعدوانَهم وبقي ثابتاً معه ثمانون من أصحابِهِ لم ينهزموا، وبقي النبيُّ ﷺ على بغلتِـــهِ يدفعُـهـا نحـــو جمـــوعِ المشركين، ويكُفّها بعضُ أصحابِهِ عنِ المضي خوفاً عليهم مـــن خطرِ المشركين وسيوفِهم.

يقول عبدُ الله بنُ مسعودٍ رضي الله عنه : كنتُ مـــع رســـولِ الله ﷺ يوم حُنَينٍ فولّى الناسُ وبقيتُ معه في ثمانين رجلاً، فقمنـــا على أقدامِنا ولم نولِّهمِ الدُّبُرَ، وهُمُ الذين أنزل اللهُ عليهمُ الســـكينةَ كما وردَ في الآيةِ الكريمةِ في قولِهِ تعالى: (1) ﴿ **ثـــم أنـــزلَ اللهُ سكينَتَهُ على رسولِهِ وعلى المؤمنين وأنزلَ جنوداً لـــم تَرَوْهـــا وعذّبَ الذينَ كفروا وذلك جزاءُ الكافرين. ثم يتوبُ اللهُ من بعـدِ ذلك على مَنْ يشاءُ واللهُ غفورٌ رحيمٌ** ﴾ صدق الله العظيم.

---

(1) الآيتان ٢٦ـ٢٧ من سورة التوبة.

هذا... ورسولُ الله ﷺ راكبٌ على بغلتِـــهِ، وعَمُّـه العباسُ رضي الله عنه آخذٌ بزمامِها يكفُّها عنِ المضي، ويمنعُها أن تتقـــدمَ في نحرِ العدوِ، والثمانون الذين ثبتوا معه منهم: أبو بكرٍ وعمـر، وعثمانُ، وعليٌّ، وعمُهُ العباسُ، وابنُهُ الفضلُ بنُ العباسِ، وأبـــو سفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ، وربيعةُ بنُ الحارثِ بنِ عبـدِ المطلب، وأسامةُ بنُ زيدٍ، وعتبةُ ومعتبُ ابنا أبي لهبٍ، وأيمـــنُ ابنُ أمِ أيمنَ رضي الله عنهم جميعاً وغيرُهم.

صورٌ من بطولاتِ الصحابةِ

١ـ شجاعةُ رسولِ الله ﷺ .

وقف النبيُّ ﷺ يقاتلُ جموعَ المشركين وحوله نفرٌ من أصحابِهِ الذين ثبتوا معه ولم يفِرّوا وأخذ يشجعُهم على القتالِ، ويطمئِنُهم أنه على قيدِ الحياةِ ويقولُ:

أنا النبيُّ لا كذبْ   أنا ابنُ عبدِ المطلبْ

وأخذ يدعو ربَهُ عز وجل ويقولُ: اللهمّ نزّلْ نصركَ.

يقولُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه : كنا إذا حمِيَ الوطيسُ، واحمرَّتِ الحدقُ لُذنا برسولِ اللهِ ﷺ فما كان أحدٌ أقربَ منه للعدو.

ويقولُ البراءُ بنُ عازبٍ رضي الله عنه : كنّا واللهِ إذا احمرَّ البأسُ نتقي به، وإن الشجاعَ مِنّا للذي يحاذي به. يقصدُ رسولَ الله ﷺ.

وعن رجلٍ من المشركين وكان قد شهِدَ حنيناً، ثم أسلم، ثم سُئِلَ عن يومِ حُنينٍ فقال: لقينا المسلمين فما لبثنا أن هزمناهم وأتبعناهم حتى انتهينا إلى رجلٍ راكبٍ على بغلةٍ بيضاءَ، فلما رآنا زَجَرنا زجرةً وانتهَرنا، فأخذ بكفِهِ حصىً وتراباً فرمى به

وقال: شاهتِ الوجوه، فلم تبقَ عينٌ إلا دخلها من ذلك، وما ملكنا أنفَسنا أن رجَعنا على أعقابنا.

ورُوِيَ أن رسولَ الله ﷺ وهو في أرض المعركةِ راكبٌ ظهرَ بغلتِهِ فقام في الركابين، فرفع يديه يدعو ربَهُ عز وجل ويقولُ: اللهم! إني أنشُدُك ما وعدتَني، اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا، ثم نادى أصحابَهُ قائلاً: يا أصحابَ البيعةِ يوم الحديبيةِ، اللهَ ... اللهَ، الكرةَ على نبيكم، وأخذ يحرضُهم على القتالِ ويقولُ: يا أنصارَ الله وأنصارَ رسولِهِ، يا بني الخزرجِ، يا أصحابَ سورةِ البقرةِ، وعنِ العباسِ بنِ عبدِ المطلب رضي الله عنه قال: إني لَمعَ رسول الله ﷺ آخذٌ بحكمَةِ بغلتِهِ البيضاء، قال: وكنتُ امرأً جسيماً شديدَ الصوتِ، قال: ورسولُ الله ﷺ يقولُ حين رأى ما رأى من الناسِ أين أيها الناس؟ فلم أرَ الناسَ يلوون على شيء، فقال: ياعباسُ، اصرخ بالناسِ يا معشرَ الأنصارِ، يا معشرَ أصحابِ السَّمُرَةِ[1]، فأجابوا: لبيك ... لبيك. فجعل الرجلُ يثني بعيرَه ليستوقفَهُ فلا يقدرُ عليه، فيأخُذ درعَهُ فيقذفُها في عنقِهِ ويأخذُ سيفَهُ وترسَهُ ويقتحمُ عن بعيرِهِ، ويخلّي سبيلَهُ،

---

(١) هي الشجرة التي تمت تحتها بيعة الرضوان.

ثم يؤمُّ[1] الصوتَ حتى ينتهيَ إلى رسولِ الله ﷺ .

وهكذا كانوا يعودون إلى رسولِ الله ﷺ رجلاً بعد رجلٍ حتى اجتمع إليه نحوٌ من مائةِ رجلٍ فاستقبلوا العدوَّ وتصدّوا له، ودارتِ الدائرةُ بينهم قويةً حاميةً، والنبيُّ ﷺ ينظرُ إليهم وهم يتجالدون فقال: الآن حميَ الوطيسُ، وما هي إلا لحظاتٌ حتى تغير وجهُ المعركةِ، ودارتِ الدائرةُ على المشركين، وتحولَتْ لصالحِ المسلمين، فما رجعَتْ راجعةُ الناسِ من هزيمتِهم حتى وجدوا الأُسارى مقيَّدين بالسلاسلِ والحديدِ بين يدي رسولِ الله ﷺ.

٢ـ شجاعةُ علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه.

وفي أرضِ المعركةِ رأى عليٌّ رضي الله عنه فارساً من هوازن وكان صاحبَ رايتِهِم وكان يركبُ جملاً ويصنعُ ما يصنع بالمسلمين، فتصدى له عليٌّ رضي الله عنه ومعه رجلٌ من الأنصارِ، فضربَ عليٌّ رجلَ الجمل فوقع على الأرضِ، فانقضَّ عليه الأنصاريُّ فأجهز عليه، فقويَتْ معنوياتُ المسلمين، وارتفعَتْ روحُهُمُ القتاليةُ وانطلقوا نحوَ المشركين يقاتلونهم بكلِ شجاعةٍ

---

(١) يؤم: يقصد.

واستبسالٍ حتى فتح اللهُ عليهم ونصرَهم نصراً مؤزراً.

يقولُ جابرُ بنُ عبدِ الله ﷺ: فو اللهِ ما رجعَتْ راجعة الناسِ من هزيمتِهم حتى وجدوا الأُسارى ملتفين عند رسولِ اللهِ ﷺ، وقتل عليٌّ ﷺ يومَ حُنينٍ أربعين رجلاً بيدِه.

٣ــ أبو سفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطلب ﷺ.

وقد صبر أبو سفيانَ بنُ الحارثِ ﷺ يومئذٍ صبراً شديداً، وأبلى بلاءً حسناً، وثبت يدافعُ عن رسولِ الله ﷺ وقد أمسك بمؤخرةِ سرجٍ بغلةِ النبي ﷺ الذي فوجيءَ به وقال: من هذا . . .؟ فقال: أنا ابنُ أمِكَ يا رسولَ الله.[1]

وهو الذي قال عنه رسولُ الله ﷺ: أبو سفيانَ بنُ الحارث سيدُ فتيانِ أهلِ الجنةِ.[2]

٤ــ أم سُلَيم بنتُ مِلحانَ رضي الله عنها.

وكانت أمُّ سُلَيم رضي الله عنها تقاتلُ مع زوجِها أبي طلحةَ[3] وقد شدَّتْ وسَطَها ببردٍ لها وكانت حاملاً بولدِها عبدِ الله

---

(١) هو في الحقيقة ابن عمه، لكنه أراد أن يتقرب إليه عن طريق الجدة التي تجمع بينهما في النسب.

(٢) رواه الحاكم وابن سعد في الطبقات.

(٣) واسمه زيد بن سهيل بن الأسود بن حرام.

ابنِ أبي طلحةَ، فأبصرَها رسولُ الله ﷺ وهي تقاتلُ، فقال لـها: أمَّ سُلَيم . . .؟

قالَتْ: نعم بأبي وأمي أنتَ يا رسولَ الله، اقتُـلْ هـؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتلُ الذين يقاتلونك، فإنهم لذلك أهلٌ.

فقال رسولُ الله ﷺ: أويكفي اللهُ يا أمَّ سُلَيم . . .؟

وفي روايةٍ: إن اللهَ قد كفى وأحسنَ، وهذا يفيدُ أن فـرارَ بعضِ المسلمين يومئذٍ لم يكن من الكبائرِ.

٥ـ أبو قتادةَ الأنصاريُّ رضي الله عنه.

وكذلك قاتل أبو قتادةَ الأنصاريُّ رضي الله عنه يومئذٍ قتالاً شديداً، وأبلى بلاءً حسناً، ولْنصغِ إليه وهو يحدثُ عمـا جـرى معـه يومئذٍ:

يقولُ أبو قتادةَ: رأيتُ يومَ حُنينٍ رجلين يقتتلان: مسـلماً ومشركاً، قال: وإذا رجلٌ من المشركين يريدُ أن يعينَ صاحبَـهُ المشركَ على المسلمِ، فأتيتُهُ فضربتُ يدَهُ فقطعتُها، واعتنقني بيـدِهِ الأخرى، فواللهِ ما أرسلني حتى وجدتُ ريـحَ المـوتِ، وكـاد

يقتُلني، فلولا أن الدمَ نزفَهُ لقتلنـــي، فســقط، فضربتُــهُ فقتلتُــهُ، وأجهضني[1] عنه القتالُ، ومرَّ رجلٌ من أهلِ مكةَ فسلَبَهُ.

فلما وضعتِ الحربُ أوزارَها وفرغنا من القـــومِ، قـــال رسولُ الله ﷺ: مَنْ قتل قتيلاً فله سلَبُه.

فقلت: يا رسولَ اللهِ، واللهِ لقد قتلـــتُ قتيـــلاً ذا سَـــلَبٍ، فأجهضني عنه القتالُ، فما أدري من استلَبَهُ ...؟

فقال رجلٌ من أهلِ مكةَ: صدق يا رســـولَ اللهِ، وسَـــلَبُ ذلك القتيلِ عندي، فأرضِهِ عني من سلَبِهِ.

فقال أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه: لا واللهِ، لا يرضيـــه منـــه، تعمِدُ إلى أسدٍ من أُسْدِ اللهِ يقاتلُ عن دينِ اللهِ تقاسمُهُ سلَبَهُ ...!! ارْدُدْ عليه سلَبَ قتيلِهِ.

فأيَّدَ رسولُ اللهِ ﷺ قولَ أبي بكرٍ فقال للرجلِ: صَـــدَقَ، ارْدُدْ عليه سلَبَهُ.

وعن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: لقدِ استلَبَ أبو طلحةَ يـــومَ حُنينٍ وحدَهُ عشرين رجلاً.

---

(١) أجهضني عنه القتال: شغلني عنه وضيق عليَّ

تأييد اللهِ تعالى المؤمنين بالملائكةِ

لقد أيَّدَ اللهُ تعالى رسولَهُ محمداً ﷺ والمؤمنين بالملائكةِ ينصرونهم، ويكثرون عَدَدهم، ويقاتلون معهم، ويوقعون الخـوفَ والرعبَ في قلوبِ أعدائهم، قال اللهُ تعالى:[1] ﴿ **إذ يوحي ربُـك إلى الملائكةِ أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سـألقي فـي قلـوبِ الذين كفروا الرعبَ فاضربوا فوقَ الأعناقِ واضربوا منهم كـلَّ بنانٍ. ذلك بأنهم شاقّوا اللهَ ورسولَهُ ومَنْ يشاقِقِ اللهَ ورسـولَهُ فإنَّ اللهَ شديدُ العقاب** ﴾.

وقال اللهُ تعالى:[2] ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكـم أني مُمدُّكُمْ بألفٍ من الملائكةِ مُردِفين. وما جعلَـهُ إلا بشـرى ولتطمئنَّ به قلوبُكم وما النصرُ إلا من عنـدِ اللهِ إنَّ اللهَ عزيـزٌ حكيمٌ** ﴾.

وآياتٌ أخرى كثيرةٌ مبثوثةٌ في ثنايا صفحاتِ كتـابِ اللهِ تبارك وتعالى.

وفي السنةِ النبويةِ ما رويَ عن سعيدِ بن جبيرٍ أنه قـال: حَدَّثَنا رجلٌ من المشركين يومَ حُنينٍ قال: لما التقينا مع أصحابِ

---

(١) الآيتان ١٢-١٣ من سورة الأنفال

(٢) الآيتان ٩-١٠ من سورة الأنفال

رسولِ الله ﷺ لم يقفوا لنا حَلْبَ شاةٍ، حتى انتهينا إلى صـــاحب البغلةِ الشهباء ـ يعني رسولَ الله ﷺ ـ تلقّانا رجـــالٌ بيـــض الوجوهِ حِسانٌ، فقالوا لنا: شاهَتِ الوجـــوهُ، ارجعـــوا، فَرجَعنـــا، وركبوا أكتافَنا فكانت إياها، يعني الملائكةَ.(١)

وقد تقدم أن النبيَّ ﷺ هو الذي قـــال يومئـــذٍ: شـــاهتِ الوجوهُ، وزجَرَ المشركين، فـــأوقع الخـــوفَ فـــي قلوبِـــهِم، ولا تعارضَ بين الروايتين فإنه يُحتَمَلُ أن يكونَ النبـــيُّ ﷺ قالَـــها، وكذلك الملائكةُ قالَتْها يومئذٍ.

ورويَ أن رجلاً من بني نصرٍ قال للمؤمنين بعد القتـــالِ: أين الخيلُ البلقُ، والرجالُ الذين كانوا عليها بيضٌ ...؟ ما كنـــا فيهم إلا كهيئةِ الشامةِ، وما كان قتلُنا إلاّ بأيديهم.

فأخبروا النبيَّ ﷺ بذلك فقال: تلك الملائكةُ.

دليل ذلك قولُ اللهِ تبارك وتعـــالى:(٢) ﴿ ثـــم أنـــزَلَ اللهُ سكينَتَهُ على رسولِهِ وعلى المؤمنين وأنزَلَ جنوداً لم تَرَوهـــا ﴾ وهم من الملائكة.

---

(١) تفسير القرطبي. (٢) الآية: ٢٦ من سورة التوبة.

أي أنزل الله تعالى على المؤمنين ما يسكنُ قلوبَهم، ويذهبُ خوفَهم، ويهدِّئُ أعصابَهم، حتى استردوا قوتَهم، واستعادوا نشاطَهم وانطلقوا لقتالِ عدوهِم بعد أن ولّوا فراراً.

وعن جُبيرِ بنِ مطعِمٍ ﷺ قال: لقد رأيتُ قبل هزيمةِ القومِ والناسُ يقتتلون مثلَ البجاد[1] الأسودِ، أقبل من السماءِ حتى سقط بيننا وبين القومِ، فنظرتُ، فإذا نملٌ أسودُ مبثوثٌ[2] قد ملأ الوادي، لم أشكَّ أنها الملائكةُ، ثم لم يكنْ إلاّ هزيمةُ القومِ.

وكانتِ امرأةٌ من المسلمين تنظرُ إلى ذلك المشهدِ الرائعِ مشهدِ بطولاتِ المسلمين ونصرِهم، وهزيمةِ المشركين وخذلانِهم، فقالَتْ مفتخرةً:

غَلَبَتِ خيلُ اللهِ خيلَ اللاتِ وخيلُهُ أحقُّ بالثباتِ

ثم هرب المشركون وتفرقوا في الأرضِ، فمنهم من ذهب إلى الطائفِ ومعهم زعيمُهم مالكُ بنُ عوفٍ، وعسكروا بأوطاس.

ومنهم مَنْ ذهب إلى نخلةَ فعسكروا فيها، وتبعتْهم خيلُ رسولِ الله ﷺ تحملُ جندَ اللهِ ورسولِهِ فقتلوا منهم مقتلةً

(1) البجاد: الكساء. (2) مبثوث: متفرق، يريد أنه رآه ينزل من السماء.

عظيمةً، وأنزل اللهُ عز وجل نصرَهُ المبينَ على عبادِه المؤمنين بعد أن أذاقهم مرارةَ الهزيمةِ لما قالَهُ بعضُهم حين رأى كثرةَ عددِهم: لن نُغلَبَ اليومَ من قلةٍ.

ولقد صدق اللهُ وعدَهُ، ونصرَ عبدَهُ، وأعزَّ جندَهُ، وهزمَ الأحزابَ وحدَهُ،

مصداق ذلك قولُ اللهِ تبارك وتعالى: (١) ﴿ **ولقد سبقَتْ كلمتُنا لعبادِنا المرسَلين. إنهم لهُمُ المنصورون. وإنَ جندَنا لهُمُ الغالبون** ﴾ صدق الله العظيم

(١) الآيات ١٧١ ــ ١٧٣ من سورة الصافات.

المسلمون يطاردون هوازنَ

١ـ الزبيرُ بنُ العوامِ ﷺ.

لما دارتِ الدائرةُ على المشركين وفروا هاربين أمامَ المسلمين، وقف مالكُ بنُ عوفٍ النصريّ وأصحابه يرقبون الطريق، فرأوا خيلاً مقبلةً عليهم، فقال مالك بن عوف لأصحابِهِ: ماذا ترون...؟

قالوا: نرى قوماً واضعين رماحَهم بين آذانِ خيلِهِم، طويلةً بوادُهم.

هؤلاء بنو سُلَيم، ولا بأسَ عليكم منهم.

ثم أقبلَتْ خيلٌ أخرى تتبعُها، فقالَ لأصحابِهِ: ماذا ترون...؟

قالوا: نرى قوماً عارضين[1] رماحَهُم أغفالاً على خيلِهِم.

فقال: هؤلاء الأوسُ والخزرجُ ولا بأسَ عليكم منهم.

ثم طلع فارسٌ، فقال لأصحابِهِ: ماذا ترون...؟

قالوا: نرى فارساً طويلَ الباد[2] واضعاً رمحَهُ على عاتقِهِ[3]، عاصباً رأسَهُ بمُلاءةٍ حمراءَ.

---

(١) عارضين: يحملون رماحَهم بالعرضِ، والأغفال: جمع غفل، وهو الذي لا علامة له. (٢) الباد: باطن الفخذ. (٣) العاتق: ما بين المنكب والعنق، والملاءة: الملحفة صغيرة كانت أو كبيرة.

فقال: هذا الزبير بنُ العوام، وأحلف باللاتِ ليخـــالطَنّكم فاثبتوا له.

فلما دنا منهم شَهرَ سيفَهُ وانقــضّ عليــهم، فلــم يــزلْ يطاعنُهم حتى هربوا أمامَهُ.

٢ـ أبو عامرٍ الأشعريّ ﷺ .

لما هرَبتْ هوازنُ أمامَ المسلمين بعث رســولُ الله ﷺ أبا عامرٍ الأشعريّ يتبعُ مَنْ هرب مِنَ المشركين إلى أوطـــاسٍ، فأدرك بعضَهم وفيهم عشرةُ إخوةٍ، فناوشوه القتالَ، فحمل عليـــه أحدُهم، فتصدّى له أبو عامرٍ ودعـــاه إلـــى الإســـلام، فرفــض المشرك، فقال أبو عامرٍ: اللهم اشهَدْ عليه، ثم حمل عليه فقتلـــهُ أبو عامرٍ، ثم أخذوا يحملون عليه رجلاً رجلاً، وأبو عامرٍ يحملُ عليهم ويدعوهم إلى الإسلام، وهم يرفضون دعوتَهِ حتـــى قتَــل تسعةً منهم، وبقي العاشرُ الذي حمل على أبي عامرٍ، فدعاه أبـــو عامرٍ إلى الإسلام، فأبى ذلك، فقال أبو عامرٍ: اللهم اشهدْ عليـــه، فقال الرجلُ: اللهم لا تشهدْ عليَّ، فكفَّ عنه أبو عـــامرٍ فـــأُفلِتَ الرجلُ، ثم أسلم بعد ذلك فحسُنَ إسلامُهُ، فكان رســولُ الله ﷺ إذا رآه قال: هذا شريدُ أبي عامرٍ.

ثم رمى أبا عامرٍ رجلان من بني جُشَم وهمـــا العـــلاءُ وأوفى ابنا الحارثِ فقتلاه، فوقع أبو عامرٍ ﷺ شهيداً، فحمـــل عليهما أبو موسى الأشعريُّ ﷺ فقتلَهما، وكان ابنَ عـــم أبـــي عامرٍ، وتولّى القيادةَ من بعدِه.

٣ـ خالدُ بنُ الوليدِ ﷺ .

وكان رسولُ الله ﷺ قد نهى عن قتلِ النساءِ والضعفـــاءِ والأطفالِ وكان خالدُ بنُ الوليدِ ﷺ يلاحقُ الفارّين من هـــوازنَ ولا يدعُ أحداً رآه إلا قَتَلَهُ، فمَّر رسولُ الله ﷺ بموضعٍ قاتل فيه خالدٌ، فرأى امرأةً قد قتلها خالدٌ فقال مستنكراً: ما هذا...؟

قالوا: امرأةٌ قتلها خالدُ بنُ الوليدِ.

فقال ﷺ لبعضِ أصحابِهِ: أدركْ خـــالداً فقـــل لـــه: إن رسولَ اللهِ ينهاك أن تقتلَ وليداً أو امرأةً أو عسيفاً.[1]

---

(١) العسيف: الأجير.

مقتلُ دريدِ بنِ الصمّةِ

هرب المشركون من أرضِ المعركـــةِ، وتفرقـوا فـــي الأرضِ فمنهم مَنْ بلغ الطائفَ ومعهم زعيمُهم مالكُ بنُ عـــوف، وعسكر بعضُهم بأوطاسٍ، وتوجه بعضُهم إلى نخلةَ، والمسـلمون في أثرِهِم يتبعونهم في كلِ جهةٍ، وكان دريدُ بـــنُ الصمّـــةِ فـــي شِجارٍ له[1]، وقدِ اعتزل القومَ فلم يقاتلْ، فمرَّ به ربيعةُ بنُ رُفَيـــعٍ ابنِ أُهيانٍ، فأخذ بخطامِ جملِهِ وهو يظنُّ أنه امرأةٌ فلما دنا منـــه، رأى شيخاً كبيراً، وربيعةُ لا يعرفُهُ، فقال له دريدٌ: مـــاذا تريـــدُ بي . . . ؟

قال: أقتلُك.

قال: ومَنْ أنت . . . ؟

قال: أنا ربيعةُ بنُ رُفَيع السُّلَميُّ، فضربه بالســـيفِ فلـــم يُغنِ شيئاً.

فقال له دريدٌ: بئسما سلَّحتْكَ أمُّكَ . . . ! خذ ســيفي هــذه من مؤخرةِ الرجل، ثم اضرب به، وارفعْ عنِ العظامِ، واخفِـــضْ عنِ الدماغِ، فإني كنتُ كذلك أضربُ الرجالَ، ثم إذا أتيتَ أمَّـــكَ

(١) الشجار: شبه الهودج إلا أنه مكشوف الأعلى.

فأخبرها أنك قتلتَ دريدَ بنَ الصمّةِ، فرُبَّ ـ واللهِ ـ يـــومٍ قـــد منعتُ فيه نساءَكَ.[1]

ثم قتله ربيعةُ، فلما رجع إلى أمهِ أخبرَها أنه قتل دُرَيـداً، فقالت له: أما والله لقد أعتق أمهاتٍ لك ثلاثاً.

فلما بلغ عمرةَ بنتَ دريدٍ مقتلُ أبيها حزنَتْ عليه، ورثَتْـهُ بالأبياتِ التاليةِ التي ذكَرتْ فيها مكانَتَهُ في قومِهِ وآثارَهُ الحميـــدةَ في بعضِ القبائلِ العربيةِ فقالَتْ:

لعمرُكَ ما خشيتُ على دريـــدٍ ... ببطنِ سُمَيرَةٍ جيشَ العنـــاقِ[2]

جزى عنه الإلـــهُ بني سُلَـــيمٍ ... وعقَّتْهم بما فعـــلوا عقـــاقِ[3]

وأسقانـــا إذا قُـــدْنـــا إليهـــم ... دماءَ خيارِهِم عنـــد التلاقـــي

فـــربَّ عظيمةٍ دافعْتَ عنهـــم ... وقد بلَغَتْ نفوسُهُمُ التراقـــي

وربَّ كريمـــةٍ أعتقْتَ منهـــم ... وأخرى قد فكَكْـــتَ من الوَثاقِ

وربَّ مُنَـــوّهٍ بك من سُلَيـــمٍ ... أجبْتَ وقد دعـــاكَ بلا رماقِ[4]

فكـــان جزاؤنا منهم عقوقـــاً ... وهمّاً ماعَ منـــه مُخُّ ســـاقِ[5]

عَفَتْ آثارُ خيـــلِك بعد أيـــنٍ ... بذي بقرٍ إلى فَيفِ النـــهـــاقِ[6]

---

(١) منعت: حميت. (٢) سميرة: واد قرب حنين وفيه قتل دريد بن الصمة والعناق: الخيبة والداهية.

(٣) العقاق: هي العقوق. (٤) المنوه: الذي يناديك بأشهر أسمائك نداء ظاهراً، والرماق: بقية الحياة.

(٥) ماع: ذاب. (٦) عفت: درست وتغيرت، وذو بقر: موضع، والفيف: القفر، والنهاق: موضع.

وقالت أيضاً في رثاءِ أبيها:

قالوا قتلنا دريداً قلتُ قد صدقوا فظلَّ دمعي على السربالِ ينحدرُ[1]

لولا الذي قهرَ الأقــوامَ كلَّهُــمُ رأتْ سُلَيمٌ وكعبٌ كيف تأتمــرُ

إذن فصبَحهــم غِباً وظاهــرةً حيثُ استقرَّت نواهم جحفلٌ نَفِرُ[2]

---

(١) السربال: القميص. (٢) الغب: أن ترد الإبل الماء يوماً وتدعه يوماً، والظاهرة: أن ترده كل يوم، والجحفل: الجيش الكثير. والنفر: كريه الرائحة من صدأ السلاح.

الشيماءُ أختُ الرسول ﷺ

لما أغارَتْ خيلُ رسولِ الله ﷺ على بني سعدِ بنِ بكرٍ قال لأصحابِهِ: إن قدرتم على بجادٍ فلا يفلَتنّكم.

وكان بجادٌ هذا قد آذى المسلمين، فلما ظفروا به أخذوه وأهلَهُ، وأخذوا معهم الشيماءَ بنتَ الحارثِ، وكانَتْ أختَ الرسول ﷺ من الرضاعةِ، وزوجَ بجادٍ المذكورِ، فلما قبضوا عليها آذاها بعضُهم، فنَهتْهم عن ذلك وحذّرتْهم من إيذائها أو الإساءة إليها وقالت لهم: تعلّموا واللهِ إني لأختُ صاحبِكم من الرضاعةِ، فلم يصدّقوها حتى أتوا رسولَ الله ﷺ فقالَتْ: يا رسولَ الله، إني أختُكَ من الرضاعةِ.

قال: وما علامَةُ ذلك...؟

قالت: عضةٌ عضضتَنيها في ظهري وأنا متوركتُك.[1]

فعرف رسولُ الله ﷺ تلك العلامةَ، فرحَّبَ بها، وأحسَنَ معاملتَها، وبسط لها رداءه، وأجلسها عليه، وخيَّرها بين أن تبقى معه وبين أن ترجعَ إلى قومِها مكرَّمَةً، فقال لها: إن أحببتِ فعندي مُحَبَّةً مكرَّمةً، وإن أحببتِ أن أمنَعكِ وترجعي إلى قومِكِ

---

(١) متوركتك: حاملتك على وركي.

فعلتُ ذلك.

فقالَتْ: بل تمتِّعني وتردُّني إلى قومي.

فأحسن إليها، وأغدقَ عليها العطايا، وأكثرَ لـــها الـــهدايا وردَّها إلى قومِها معزَّزَةً مكرمَةً.

الرسولُ ﷺ يطاردُ مالكَ بنَ عوف

تقدم معنا أن المشركين هربوا من أرضِ المعركةِ وتفرقوا في الارض، فمنهم مَنْ بلغ الطائفَ، ومنهم مَنْ عسكر بأوطاسٍ، ومنهم مَنْ توجَهَ إلى نخلةَ، وأخذ المسلمون يطاردونهم في كلِ جهةٍ.

أما الذين هربوا إلى الطائفِ فقد كان معهم زعيمُهم مالكُ ابنُ عوفٍ، فتولى النبيُّ ﷺ بنفسِهِ ملاحقَتَهم للقضاءِ عليهم وعلى زعيمِهِم مالكِ بنِ عوفٍ، أو الدخول في الإسلام، ومالكُ ابنُ عوف هو الذي قام بجمع هوازن والأعرابِ لقتالِ النبي ﷺ، فلما دارتِ الدائرةُ عليه، وخَذَلَهُ الله أخذ أصحابَهُ واشتدَّ هارباً إلى الطائفِ لأن عدداً كبيراً من أهلِها كان يقاتلُ معه، فلما بلغوا الطائفَ دخلوها وأغلقوا عليهم أبوابَها، وجمعوا قواتِهم واستعدوا للقتال.

أما النبيُّ ﷺ فقد جمع أصحابَهُ المنتصرين، وأَمَرَهُم بالاستعدادِ والتوجهِ إلى الطائفِ لملاحقةِ فَلِّ [1] المشركين، فقال كعبُ بنُ مالك رضي الله عنه عنه مفتخراً:

---

(١) الفلُ: الجماعة المنهزمون من الجيش.

قضينا من تِهامةَ كلَّ ريبٍ وخيبرَ ثم أجْممْنـا السيوفـا[١]

نخيِّرها ولـو نطقَتْ لقالتْ قواطعُهـنَّ دوسـاً أو ثقيفـا[٢]

فلستُ لحاضنٍ إن لم تردها بساحةِ داركـم مِنّـا ألوفـا[٣]

وننتزعُ العروشَ ببطنِ وَجٍّ وتصبحُ دورُكـم مِنّا خُلُوفـا[٤]

ويأتيكم لنا سَرَعانُ خيـلٍ يغـادرُ خلفَـهُ جمعاً كثيفـاً[٥]

إذا نزلوا بساحتِكم سـمعتُمْ لهـا ممّـا أناخَ بها رجيفـا[٦]

بأيديهِم قواضبُ مُرهفـاتٌ يزرْنَ المصطلين بها الحتوفا[٧]

كأمثالِ العقائقِ أخلَصَتْـها قيونُ الهندِ لم تُضربْ كتيفـا[٨]

نخالُ جديّةَ الأبطالِ فيـها غـداةَ الزحفِ جاديّاً مَدُوفـا[٩]

---

(١) تهامة: ما انخفض من أرض الحجاز، والريب:الشك، وأجممنا السيوفا: أرحناها.

(٢) نخيرُها: نعطيها الخيرة، ولو نطقت لاختارت أن تحارب دوساً أو ثقيفاً.

(٣) الحاضن: المرأة التي تحضن ولدها، وساحة الدار: فِناؤها.

(٤) العروش: سقوف البيوت، وج: موضع بالطائف، وخلوف: دور يغيب عنها أهلها.

(٥) السرعان: المتقدمون، والكثيف: الملتف.

(٦) رجيفاً: مأخوذ من الرجفة، ويعني به الصوت الشديد مع اضطراب.

(٧) القواضب: جمع قاضب، وهي السيوف القواطع، والمرهفات: القاطعة، والمصطلون: المباشرون لها من أعدائهم، والحتوف: جمع حتف، وهو الموت.

(٨) العقائق: جمع عقيقة، والمراد بها شعاع البرق، وكتيف: جمع كتيفةٍ وهـي صفـائح الحديد، وأصل الكتيف: الضيق من كل شيء.

(٩) الجدية: الطريقة من الدم، والزحف: التقاء الجيشين، والجادي: الزعفران. ومـدوف: اسم مفعول من دافه يدوفه، ومعناه مخلوط بغيره.

أجدَّ هُمُ أليس لهـم نصيـحُ من الأقوامِ كان بـه عريفا[١]

يخبرُهُـم بأنا قـد جمَـعْنـا عِتاقَ الخيلِ والنُجُبَ الطروفا[٢]

وأنّا قـد أتينـاهـم بزحـفٍ يحيطُ بسورِ حِصنِهِمُ صفوفا[٣]

رئيسُهُمُ النبيُّ وكـان صُلْبـاً نقيَّ القلبِ مصطبراً عزوفا[٤]

رشيدُ الأمـرِ ذو حكمٍ وعلـمٍ وحِلـمٍ لم يكن نَزِقـاً خفيفاً[٥]

نطيعُ نبيـّنا ونـطيـعُ ربّـاً هو الرحمنُ كان بنا رؤوفـاً

فإن تلقوا إلينا السَّلمَ نـقبـلْ ونجعلْكُم لنا عَضُـداً وريفـا[٦]

وإن تأبَوا نجاهدْكم ونـصبرْ ولا يكُ أمرُنا رَعِثاً ضعيفـا[٧]

نجالدُ ما بقينـا أو تـنيبـوا إلى الإسـلامِ إذعاناً مضيفـا[٨]

---

(١) أجدّهم: أي أجد منهم، وعريفاً: عارفاً.

(٢) عِتاق: جمع عتيق، وهي الكرام الأصول، سميت بذلك لأنها عتقت من العيوب. والنجيب: هي الناقة القوية النفيسة، أو الخيل القوية، والطروف: جمع طِرف بكسر الطاء، وكلها بمعنى الكريمة الأصل من الخيل والنوق.

(٣) الزحف: الجيش. (٤) العزوف: الزاهد عن الشيء مع إعجابه به. (٥) النزق: الكثير الطيش والحمق.

(٦) العضد: الناصر والمعين، وتعاضد القوم: تعاونوا، وأصل العضد، ما بين المرفق والكتف، والريف: المواضع المخصبة القريبة من المياه، يريد إن تسلموا وتدخلوا في ديننا نتخذكم أعواناً لنا على الحرب، ونستمد من ريفكم العيش.

(٧) رَعِثاً: متقلباً غير ثابت.

(٨) نجالد: نحارب بالسيوف، إذ المجالدة: المحاربة. والإذعان: الخضوع والانقياد، ومضيفاً: ملجئاً.

نجاهدُ لا نبـــالي مَنْ لقينـــا	أأهلكْنـــا التـــلادَ أم الطريفـــا[1]
وكم من معشرٍ ألَبُوا علينـــا	صميمَ الجذمِ منهـــم والحليفـــا[2]
أتونا لا يـــرون لهم كفـــاءً	فجدّعْنا المســـامـعَ والأنوفـــا[3]
بـــكلِ مهـــندٍ ليـــنٍ صقيـــلٍ	يســـوقُهم بهـــا سَـــوْقاً عنيفـــاً[4]
لأمـــرِ اللهِ والإســـلامِ حتـــى	يقومَ الديـــنُ معتـــدلاً حنيفـــا
وتُنسى اللاتُ والعُـــزّى وودٌّ	ونسلبُـــها القلائـــدَ والشنوفـــا[5]
فأمسَوا قد أقرّوا واطمأنّـــوا	ومن لا يمتنـــعْ يُقتلْ خسوفـــا[6]

---

(١) التّلادُ: المال القديم، والطريف: المال المستحدث.

(٢) ألبوا علينا: جمعوا علينا، والصميم: الخالص، والجذم: الأصل.

(٣) جدعنا: قطعنا، وأكثر استعمال لفظ الجدع في قطع الأنوف.

(٤) العنيف: الشديد الذي ليس فيه رفق.

(٥) الشنوف: جمع شنف، وهو القرط الذي يكون في أعلى الأذن.

(٦) الخسوف: الذل.

المسلمون يحاصرون الطائف

ومضى رسولُ الله ﷺ يقودُ أصحابَهُ إلى الطائفِ، فلما بلغها أمرهم أن يضربوا خيامَهم، ويعسكروا قريباً من أسوارِها، وكان فرسانُ ثقيفٍ عنيدين أشداءَ فأبوا أن يفتحوا أبوابَ مدينتهم للمسلمين، وجعلوا يرمونهم بالسهامِ فقتلوا عدداً منهم، وحاول المسلمون أن يقتحموا أسوار الطائفِ، فلم يقدروا، فلما كثر فيهمُ القتلُ، ورأى النبيُّ ﷺ منعةَ ثقيفٍ وعنادَهم، وكثرةَ ما أُصيبَ من أصحابِهِ تراجع عن أسوارِ الطائفِ، وضرب عليها حصاراً محكماً دام بضعاً وعشرين ليلةً كان الفريقان خلالها يتبادلان التراشقَ بالنبلِ، وقدِ استعمل المسلمون المنجنيقَ رمَوا به أهلَ الطائفِ، حتى لقد رويَ أن رسولَ الله ﷺ هو أولُ مَنْ رمى في الإسلام بالمنجنيقِ ؛ رمى أهلَ الطائفِ.

يومُ الشدخةِ

وسُمِّيَ بذلك لشدةِ القتالِ الذي دار بينَ المسلمين وثقيـــفٍ بعمدِ الحديدِ أو الخشبِ، ولقساوةِ ذلك اليومِ، وصمـــودِ الفريقيـــن كلٍ في وجهِ صاحبه.

فتحت جدارِ الطائفِ كانتِ المعركةُ الكـــبرى فـــي يـــومٍ يُسمّونه (بيومِ الشدخةِ) وذلك بعد أن طـــالَ حصـــارُ المســـلمين للطائفِ، وأبى أهلُها الاستسلامَ أو الانقيادَ لشروطِ النبي ﷺ.

وقد ثبَتَ المسلمون يومئذٍ ثباتاً مشرفاً، وأبلَوا بلاءً حســـناً، وقاموا بهجومٍ بطولي مشرفٍ، حيث دخل نفرٌ منهم تحت عربـــةٍ مملوءةٍ ناراً وزحفوا بها إلى جدارِ الطائفِ ليخرقوهُ ويتمكّنوا من اقتحام المدينةِ، ولكنَّ أهلَ الطائفِ كانوا قوماً أشداءَ، فقد صمـــدوا في وجهِ المسلمين صموداً رائعاً للدفاعِ عن مدينتِـــهم، وأخـــذوا يرمونهم بقطعِ الحديدِ المَحماّةِ بالنارِ، الأمرُ الذي جعلَ المســـلمين ينسحبون من حولِ الجدارِ، ويخرجون من تحتِ العربةِ، ورجـــالُ ثقيفٍ يرمونهم بوابلٍ غزيرٍ من النبالِ فقتلوا منهم رجـــالاً، فلمـــا رأى النبيُّ ﷺ ثباتَ رجالِ ثقيفٍ وعنادَهم أمرَ بقطـــعِ أشـــجارِ العنبِ والنخيلِ لعلَّ ثقيفاً تثوبُ إلى رشدِها، وتعلنُ إسلامَها.

وخلالَ فترةِ الحصارِ كان النبيُّ ﷺ يبعثُ إلى ثقيفٍ رسلَهُ للمفاوضةِ، منهم:

أبو سفيانَ بنُ حرب، والمغيرةُ بنُ شعبةَ فلم يصلا إلى شيءٍ، فقال لهما ابن الأسودِ بنِ مسعودٍ: ألا أدلُّكُما على خيرٍ مما جئتُما له...؟ إنَّ مالَ بني الأسودِ بنِ مسعود حيثُ قد علمتُما، وإنه ليس بالطائفِ مالٌ أبعدُ رِشاءً، ولا أشدُّ مؤنةً، ولا أبعدُ عمارةً من مالِ بني الأسودِ، وإن محمداً إن قطَعهُ لم يُعْمَرْ أبداً، فكَلِماهُ فليأخذْ لنفسِهِ، أو ليَدعْهُ للهِ والرحمِ، فإن بيننا وبينه من القرابةِ مالا يُجهَلُ.

فرُوِيَ أن رسولَ الله ﷺ تركهُ لهم، وتابع حصارَهُ المحكمَ على الطائفِ.

رؤيا رسولِ الله ﷺ

وفي مدةِ الحصارِ رأى رسولُ اللهِ ﷺ رؤيا قصَّها على أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه فقال: يا أبا بكرٍ، إني رأيتُ أني أُهديَــت لي قعبةٌ[1] مملوءةٌ زُبْداً، فنقرها ديكٌ، فهراقَ ما فيها.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما أظنُّ أن تدركَ منهم يومَكَ هذا مـا تريدُ، فقال رسولُ الله ﷺ: وأنا لا أرى ذلك.

نعم، فلقد كان أهلُ الطائفِ قوماً أشِدّاءَ أولي بأسٍ شـديدٍ، لا يستسلمون بسهولةٍ، ولا يكفّون عنِ القتالِ، ولاَ يَملّونه، فضـلاً عن ذلك كانوا ذوي دهاءٍ ومكرٍ، لذلك قال فيهم عُيَينَةُ بنُ حصينٍ الغزاويُّ: إنهم مَجَدَةٌ كرامٌ، فقال له رجلٌ من المسلمين: قاتلك الله يا عُيينَةُ، أتمدحُ المشركين بالامتناعِ عن رسول الله ﷺ ...!

قال: إني واللهِ ما جئت لأقاتلَ ثقيفاً معكم، ولكني أردْتُ أن يفتحَ محمدٌ الطائفَ فأُصيبَ من ثقيفٍ جاريةً لعلها تلدُ لي رجلاً، فإن ثقيفاً قومٌ مناكيرُ[2].

ولعلَّ ثقيفاً هُمُ الذين عناهُمُ اللهُ تعالى بقولِهِ:

---

(١) القعبة: القدح. (٢) مناكير: ذوو مكرٍ وفطنة ودهاء.

﴿ قل للمخَلَّفين من الأعرابِ ستُدعَون إلى قــومٍ أولــي بأسٍ شديدٍ تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتِكُــمُ اللهُ أجــراً حسناً وإن تتولَّوا كما تولَّيتُم من قبلُ يعذبكُم عذاباً أليماً ﴾[1].

قال سعيدُ بنُ جُبَير: هم هوازن وثقيفٌ.

وقال عكرمةُ: هوازن.

وقال قتادةُ: هوازن وغطفانُ يومَ حُنينٍ.

وقال الزهريُّ ومقاتلٌ: هم بنــو حنيفــةَ أهــلُ اليمامــةِ أصحابُ مسيلِمةَ[2].

وقيل غيرُ ذلك، وبالتأملِ في هذه الأقوالِ نرى أنها تذكـرُ هوازن، وثقيفاً وهما القبيلتان اللتان وقفتا في وجه المسلمين يــومَ الطائفِ ولعلهما المرادتان في الآيةِ الكريمةِ. والله أعلم.

---

(١) الآية: ١٦ من سورة الفتح. (٢) تفسير القرطبي.

إسلامُ ثقيفٍ

حين رأتْ ثقيفٌ أن حصارَ رسولِ اللهِ ﷺ قد طالَ، وأنه لن يفكَّهُ عنهم، ولن يغادرَهم حتى يذعنوا لأمرِه، ويفتحوا له الطائفَ أو يسلموا، اجتمع عقلاؤهم فتشاوروا بالأمرِ ثم اتفقوا أن يسلموا وذلك خيرٌ لهم، وانفضوا وهم مُجمِعون على ذلك.

فكانوا يأتون النبيَّ ﷺ جماعاتٍ يقدمون إليه الولاءَ والطاعةَ، ويبايعونه على الإسلامِ بعد أن رأوا أن لا خيارَ لهم إلاّ الدخولُ في الإسلامِ، ووضعُ أيديهم في يدِ النبي ﷺ مبايعين مناصرين.

فكان منهم بعضُ العبيدِ جاءوه مسلمين فقبلَهم وأعتقَهم، فجعل بعضُ الناسِ يقولون فيهم كلاماً سيئاً، فلما بلغ ذلك النبيَّ ﷺ قال: لا، أولئك عتقاءُ الله.

(إسلامُ هوازن)

بعد إسلامِ أهلِ الطائف ومبايعةِ النبي ﷺ، غادر النبيُّ ﷺ الطائفَ ومضى أصحابُهُ يقودون السبايا والأُسارى من هوازن، وكان قد قال له رجلٌ من أصحابِهِ يومَ غادرَ الطائفَ: يا رسولَ الله، ادعُ عليهم.

فقال النبيُّ ﷺ: اللهم اهدِ ثقيفاً، وأتِ بهم.

فلم يمضِ سوى وقتٍ قصيرٍ حتى قدِمَ عليه وفدُ هوازن، وهو في مقامِهِ لم يغادِرْهُ، وكان بلغ الجعرانةَ، فقالوا: يا رسولَ الله، إنّا أهلٌ وعشيرةٌ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخفَ عليك، فامنُنْ علينا مَنّ اللهُ عليك . . . ؟

ثم قام رجلٌ منهم يُكنى أبا صُرد فقال: يا رسولَ الله، إنما في الحظائرِ عمّاتُك وخالاتُك وحواضنُك اللّاتي كُنَّ يكفُلْنَكَ، ولو أنا مَلَحْنا(١) للحارثِ بنِ أبي شمر، أو للنعمانِ بنِ المنذرِ، ثم

(١) ملحنا: أرضعنا.

نزل مِنّا بمثلِ الذي نزلتَ به رَجَونا عطفَـهُ وعائدتَـهُ[1] علينـا، وأنتَ خيرُ المكفولين.

فقال رسولُ الله ﷺ: أبناؤكم ونساؤكم أحـبُّ إليكـم أم أموالُكم ...؟

فقالوا: يا رسولَ الله، خيّرتَنا بين أموالِنا وأحسابِنا، بـل تردُّ إلينا نساءَنا وأبناءَنا فهو أحبُّ إلينا.

فقال لهم: أمّا ما كان لي ولبني عبدِ المطلب فهو لكـم، وإذا ما أنا صلّيتُ الظُّهر بالناسِ فقوموا فقولـوا: إنـا نستشـفعُ برسولِ الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسولِ الله في أبنائِنـا ونسائِنا، فسأعطيكم عند ذلك وأسألُ لكم.

فلما صلى رسولُ الله ﷺ بالناسِ الظُّهر قاموا فتكلموا بما قال لهمُ النبيّ ﷺ، فقال: وأمـا مـا كـان لـي ولبنـي عبـدِ

---

(١) عائدته: إحسانه وفضله.

المطلبِ فهو لكم.

فقام المهاجرون فقالوا: وما كان لنا فـــــهو لرســـولِ الله ﷺ.

وكذلك قالتِ الأنصارُ: وما كان لنـــا فـــهو لرســـولِ الله ﷺ.

فقام الأقرعُ بنُ حابسٍ فقال: أما أنا وبنو تميمٍ فلا.

وقال عُيَينَةُ بنُ حصنٍ: أما أنا وبنو فزارةَ فلا.

وقال عباسُ بنُ مرداسٍ: أما أنا وبنو سُلَيم فلا، فعارضَـــه رجالُ بني سُلَيم وقالوا: بلى، ما كان لنا فهو لرسولِ الله ﷺ.

فقال لهم عباسُ بنُ مرداسٍ: وهّنتموني[1].

فقال رسولُ الله ﷺ: أمّا مَنْ تمسَّكَ منكم بحقِهِ من هـــذا السبي فله بكلِ إنسانٍ ستُ فرائضَ من أولِ سبيٍ أصيبُهُ.

(١) وهنتموني: أضعفتموني.

فتحمَّسَ القومُ جميعاً وردّوا إلى الناسِ أبناءَهم ونساءَهم، وتلك سياسةٌ في غايةِ الكياسةِ والمرونةِ واللباقةِ جعلتِ النبيَّ ﷺ يحظى بمحبةِ جميعِ الناسِ وثقتِهِم وطاعتِهِم، وردَّ إلى هوازن أبناءَهم ونساءَهم من الذين تمسكوا بهم عن رضىً وقناعةٍ.

وكان النبيُّ ﷺ قد أعطى عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضي الله عنه جاريةً يقال لها رَيطةُ بنتُ هلالٍ.

وأعطى عثمانَ بنَ عفانَ جاريةً يقالُ لها زينبُ بنتُ حيانَ.

وأعطى عمرَ بنَ الخطابِ رضي الله عنه جاريةً، فوهبها عمرُ لولدِهِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ،الذي بعث بها إلى أخوالِهِ من بني جُمح ريثما يعودُ من طوافِهِ بالبيتِ.

يقول ابنُ عمرَ: وأنا أريدُ أن أصيبَها إذا رجعتُ إليها، قال: فخرجتُ من المسجدِ حين فرغتُ، فإذا الناسُ يشتدُّون، فقلتُ: ما شأنكم...؟

قالوا: ردَّ علينا رسولُ الله ﷺ نساءَنا وأبناءنا.
فقلتُ: تلكم صاحبتُكم في بني جُمَحٍ، فاذهبوا فخذوها.

وما كان هذا التصرفُ إلا من ثمراتِ حبِ اللهِ ورسولهِ وطاعةِ اللهِ ورسولهِ، فقد كانت طاعةُ اللهِ والرسولِ عند جميعِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ أحبَّ إليهم من أنفسِهم وأبنائِهم وأموالِهم والناسِ أجمعين.

فعن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه: عنِ النبي ﷺ قال: ﴿ ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوةَ الإيمان:

مَنْ كان اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه ممّا سواهما، وأن يحبَ المرءَ لا يُحبهُ إلا للهِ، وأن يكرَهَ أن يعودَ في الكفرِ بعد أن أنقذَه اللهُ منه كما يكرَهُ أن يُقذَفَ في النارِ ﴾[(١)] وتلكُمُ الخصالُ الثلاث لا تجتمعُ إلا فيمن قويَ بالإيمانِ يقينُهُ، واطمأنَّتْ به نفسُهُ، وانشرحَ له صدرُه، وخالط لحمَهُ، وذلك هو الذي وجَدَ حلاوةَ

---

(١) صحيح مسلم.

الإيمانِ، فلقد كان جميعُ أصحابِ رسولِ الله ﷺ يحملون هـــذه الصفاتِ الحميدةَ، ويتصفون بها، لذلك سارعوا إلى تنفيذِ رغبتِـــهِ وتسابقوا إلى ردِّ أموالِ هوازن ونسائِهِم وأبنائِــهِم لعلــهم بذلــك يُرضون اللهَ ورسولَهُ، ويتقربون به منهما.

إسلامُ مالكِ بنِ عوفٍ

أسلمَتْ هوازنُ، وفاز رجالُها ونساؤها بصحبةِ النبي ﷺ الذي سألهم عن مالكِ بنِ عوفٍ النصري فقالوا له: هو بالطائفِ مع ثقيفٍ، فأراد النبيُّ ﷺ أن يُعطيَهُ فرصةً للدخولِ في الإسلامِ، فإنه إذا ما أسلم، أسلَمتْ ثقيفٌ وهوازنُ جميعاً، وقديماً قالوا: الناسُ على دينِ ملوكِهم.

فقال لهمُ النبيُّ ﷺ : أخبروا مالكاً أنه إن أتاني مسلماً ردَدْتُ عليه أهلَهُ ومالَهُ، وأعطيتُهُ مئةً من الإبلِ، فنقل بعضُهم قولَ النبي ﷺ إلى مالكِ بنِ عوفٍ الذي استعدَّ للرحيلِ، وتحت جنحِ الليلِ انسلَّ خفيةً خشيةَ أن يعلمَ زعماءُ ثقيفٍ بخروجِهِ فيحبسوه ويمنعوه من الخروج.

ثم مضى مالكُ بنُ عوفٍ حتى أتى رسولَ الله ﷺ وهو بالجعرانةِ، أو بمكةَ، فحيّا النبيَّ ﷺ بتحيةِ الإسلام، ثم أسلم بين يديه، وفتح لنفسِهِ ولقومِهِ باباً من الأمنِ والسلامِ والسعادةِ الغامرةِ في الدنيا والآخرةِ.

فبرَّ رسولُ الله ﷺ بوعدِهِ وردَّ إلى مالكٍ أهلَهَ ومالَـــــهَ، وأعطاه مئةً من الإبلِ، فقال مالكُ بنُ عوفٍ حين أسلم:

ما إن رأيتُ ولا ســمعتُ بمثلِهِ   في الناسِ كلِهِــم بمثلِ محمــدِ
أوفى وأعطى للجزيلِ إذا اجتُدِي   ومتى تشأ يخبِركَ عمّا في غدِ[1]
وإذا الكــتيبــةُ عَرَّدَتْ أنيــابُها   بالسمهريِ وضربِ كلِ مهنــدِ[2]
فكــأنــه لَيــثٌ علــى أشبــالِهِ   وسطَ الهباءَةِ خادرٌ في مرصدِ[3]

فجعله رسولُ الله ﷺ أميراً على مَنْ أسلم مِنْ قومِـــــهِ، وبعضِ القبائلِ العربيةِ الأخرى، فكان مالكٌ يقاتلُ بهم ثقيفاً حتـــى ضيَّقَ عليهم، فقال أبو محجنِ الثقفيُّ [4] في ذلك:

---

(١) الاستجداء: طلب من العطاء.

(٢) عردت الكتيبة: فرت وهربت، والسمهري: الرمح الطويل، والمهند: السيف.

(٣) الليث: الأسد، والخادر: المستتر، والشبل: ولد الأسد، والهباءة: التراب الناعم الدقيق، والشيء الذي يرى في ضوء الشمس.

(٤) واسمه مالك بن حبيب.

هابَتِ الأعداءُ جانبَنا ثم تغزونا بنـــو سلِمَهْ

وأتانـــا مالـــكٌ بهم ناقضاً للعهدِ والحرمهْ

وأتَونـــا في منازلِنا ولقـــد كُنّا أولي نقِمهْ

توزيعُ الغنائمِ

لما فرغ رسولُ الله ﷺ من ردِّ سبايا هوازنَ إلى أهلِها، ركب راحلَتَهُ ليغادرَ مكانَهُ، فاتَّبعَهُ الناسُ يقولون: يا رسولَ الله، اقسِم علينا فيئَنا[1] من الإبلِ والغنمِ...؟ حتى ألجؤوه إلى شجرةٍ، وأخذوا عنه رداءَه، وهو صابرٌ لا يتأففُ ولا يزعجُ أحداً، فقال: أدّوا عليَّ ردائي أيها الناسُ، فو اللهِ أن لو كان لكم بعددِ شجرِ تهامةَ نَعَماً[2] لقسمتُهُ عليكم، ثم ما ألفتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً.

ثم أخذ شعرةً من بعيرٍ كان بجانبِهِ، فجعلها بين أصبعيهِ، ثم رفعها وقال: أيها الناسُ، واللهِ مالي من فيئِكم ولا من هذه الوبرةِ إلا الخمسُ، والخمسُ مردودٌ عليكم[3]، فأدّوا الخياطَ والمخيَطَ[4] فإن الغلولَ يكونُ على أهلِهِ عاراً وناراً وشناراً[5] يومَ القيامةِ.

---

(١) الفيء: الغنيمة . (٢) النعم: البقر والإبل والغنم.

(٣) الخمس: سهم رسول الله ﷺ من الغنائم، وقد وهبها لهم ولم يدع لنفسه منها شيئاً.

(٤) الخياط: الخيط والمخيط: الإبرة.

(٥) العار والشنار: أقبح العار يوم القيامة.

فجاء رجلٌ من الأنصارِ بكبةٍ من خيوطِ شعرٍ فقال: يـا رسولَ الله، أخذتُ هذه الكبةَ أعملُ بها برذعةَ بعيرٍ لي دَبَرَ[1]

فقال له النبيُّ ﷺ : أما نصيبي منها فلَكَ، أمّا إذ بلغَـتْ هذا فلا حاجةَ لي بها، ثم طرحها من يدِه.

ودخل ابنُ عمهِ عقيلُ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه على امرأتِـهِ فاطمةَ بنتِ شيبةَ بنِ ربيعةَ، وسيفُهُ متلطِّخٌ دماً، فقالت له: إنـي قد عرفتُ أنكَ قد قاتلتَ، فماذا أصبتَ من غنائمِ المشركين...؟

قال: دونكِ[2] هذه الإبرةَ تخيطين بها ثيابَكِ.

ثم سمع مناديَ رسولِ الله ﷺ يقول: مَـنْ أخـذ شـيئاً فلْيرُدَّهُ حتى الخِياطَ والمِخْيَطَ.

ولم يكدْ عقيلٌ رضي الله عنه يسمعُ هذا النداءَ حتى أصابتْهُ الخشـيةُ والرهبةُ وأحسَّ بقشعريرةٍ تسري في جسدِهِ، فأخذ الإبـرةَ مـن

(١) الدَّبَرُ: جرح يكون في ظهر البعير. (٢) دونك: خذيها.

امرأتِهِ وقال لها: ما أرى إبرتَكِ إلا قد ذهبَتْ عنكِ ومضى بـــــها فألقاها في الغنائمِ، وإنه لنموذجٌ عظيمٌ، ودرسٌ بالغُ الروعةِ فـــي الصدقِ والورعِ والأمانةِ والخشيةِ الحقيقيةِ من اللهِ عـــز وجـــل، ومراقبةِ النفسِ وتهذيبِها في السرِ والعلنِ، والاقتداءِ الحق برسولِ اللهِ ﷺ.

إعطاءُ المؤلفةِ قلوبُهم من الغنائمِ

المؤلفةُ قلوبُهم: رجالٌ من أشرافِ الناسِ وزعماءِ القبائلِ، أسلموا حديثاً ولم يتمكنِ الإسلامُ في قلوبِهِم، وكأنه لم يثبتْ في نفوسِهِم فهم على شفا حفرةٍ من الإسلام إن أصابهم خيرٌ اطمأنوا به، وثبتوا عليه، وإن أصابهم غيرُ ذلك فلربما انقلبوا عنه، ورجعوا إلى دينِ الشركِ.

فكانوا يُعطَون من أموالِ الصدقاتِ والغنائمِ أسهماً أكثر من غيرِهم ليثبتوا على الإسلامِ، وقد جعلهمُ اللهُ عز وجل من الأصنافِ الثمانيةِ الذين تحقُ لهم الصدقاتُ، قال الله تعالى: [1]

﴿ إنما الصدقاتُ للفقراءِ والمساكينِ والعاملين عليها والمؤلفةِ قلوبُهم وفي الرقابِ والغارمين وفي سبيلِ اللهِ وابنِ السبيلِ فريضةً من اللهِ واللهُ عليمٌ حكيمٌ ﴾

لذلك كان النبيُّ ﷺ يعطيهم من الصدقاتِ والغنائمِ، ويكثرُ لهم في العطاءِ ليتألَّفهم بذلك، ويتألَّفَ بهم قومَهم، وهم: أبو سفيانَ بنُ حربٍ، وابنُهُ معاويةُ، وحكيمُ بنُ حزامٍ، والحارثُ ابنُ كَلَدَةَ، والحارثُ بنُ هشامٍ، وسهيلُ بنُ عمروٍ، ومالكُ بنُ عوفٍ، وعُيَينَةَ بنُ حصنٍ والأقرعُ بنُ حابسٍ، وكثيرون غيرُهم.

---

(١) الآية ٦٠ من سورة التوبة

فقد أعطى النبيُّ ﷺ كلَّ واحدٍ منهم مئةً مـــن الإبــلِ، وأعطى غيرَهم لكلِ رجلٍ خمسين بعيراً، منــــهم: عبــاسُ بــنُ مرداسٍ الذي قال كلاماً يعاتبُ فيه النبيَّ ﷺ ، يدلُ على سخطِهِ وعدمِ رضاه عن تلك القسمةِ ضمنَ أبياتٍ من الشعرِ قال فيها:

كانــت نهــابــاً تلاقَيتُهــا بكرّي على المهرِ في الأجرعِ[1]

وإيقاظيَ القومَ أن يرقُــدوا إذا هجــع الناسُ لــم أهجــعِ[2]

فأصبح نهبي ونهــبُ العُبَيدِ بــيــن عُــيَينَــةَ والأقــرعِ[3]

وقد كنتُ في الحربِ ذا تُدْرَأَ فلــم أُعْطَ شيئــاً ولــم أُمنعِ[4]

إلاّ أفــائــلَ أُعــطــيتُــهــا عــديــدَ قوائمِــهــا الأربعِ[5]

وما كان حصنٌ ولا حــابسٌ يفوقــان مرداسَ في المجمعِ[6]

وما كنتُ دون امرىءٍ منهما ومَنْ تضــعِ اليــومَ لا يُرفَــعِ

---

(١) نهاباً: جمع نهب، وهو ما ينهب ويغنم، يريد الماشية وســائر الغنــائم، والأجــرع: المكان السهل. (٢) هجع: نام .

(٣) العبيد: اسم فرس الشاعر، وعيينة والأقرع: يعني بهما عيينةَ بنَ حصن، والأقرع بـن حابس.

(٤) ذا تدرأ: ذا دفعٍ عن قومي. (٥) الأفائل: الصغار من الإبل، والواحد أفيل.

(٦) مرداس: هو أبو الشاعر، وفي روايةٍ: يفوقان شيخي يريد أباه أيضاً.

وقوله: (حصن ولا حابس) هما أبو عيينةَ والأقرع، يريد أن أبوي عيينــــة بـــن حصـــن والأقرع بن حابس ليسا مثل أبيه مرداس في الشجاعة ومنازلة الفرسان.

فلما بلغ النبيَّ ﷺ قولُهُ قال لأصحابِهِ: اذهبوا به، فاقطعوا عني لسانَهُ.

فأعطَوه من الغنائمِ حتى رضي.

قال ابنُ هشام في السيرة: فكان ذلك قطعَ لسانِهِ الذي أمر به رسولُ الله ﷺ.

ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ قال لعباسِ بنِ مرداسٍ: أنتَ القائلُ: فأصبح نهبي ونهبُ العبيدِ بين الأقرعِ وعيينةَ . . .؟

فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: بين عيينةَ والأقرعِ.

فقال رسولُ الله ﷺ: هما واحدٌ.

فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أشهدُ أنكَ كما قال اللهُ: [1] ﴿ وما علمناه الشعرَ وما ينبغي له ﴾

---

(١) الآية ٦٩ من سورة يس.

ثم جاءَهُ بعضُهم فقال: يا رسولَ الله، أعطيتَ عُيينَةَ بـــنَ حصنٍ، والأقرعَ بنَ حابسٍ مائةً...مائةً، وتركتَ جُعَيـــلَ بـــنَ سراقةَ الضمريَّ...

فقال رسولُ الله ﷺ: أما والذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ لجُعَيـــلُ ابنُ سراقةَ خيرٌ من طلاعِ[1] الأرضِ، كلُّهم مثلُ عيينَةَ بنِ حصن، والأقرعِ بن حابسٍ ولكني تألَّفتُهما ليُسلِما، ووكَلْتُ جُعَيـــلَ بـــنَ سراقةَ لإسلامِهِ.

---

(١) طلاع الأرض: ما يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل.

اعتراضُ رجلٍ من تميمٍ على تقسيمِ الغنائمِ

سُئِلَ عبدُ الله بنُ عمروِ بنِ العاصِ ﷺ وهـــو يطــوفُ بالبيتِ عنِ الرجلِ التميمي الذي اعترض على قسمةِ رســـولِ الله ﷺ يومَ حُنينٍ فقيل له: هل حضرتَ رسولَ الله ﷺ حين كلَّمــهُ التميميُّ يومَ حنينٍ...؟

قال: نعم، جاء رجـــلٌ مـــن بنـــي تميـــمٍ يقـــال لـــه ذو الخُوَيصرةِ، فوقف عليه وهو يعطي الناسَ، فقال: يا محمدُ، قـــد رأيتُ ما صنعتَ في هذا اليومِ.

فقال رسولُ الله: أجل، فكيف رأيتَ...؟

فقال: لم أرَكَ عدلتَ.

قال ابنُ عمروٍ: فغضبَ النبيُّ ﷺ ، ثم قال: ويحَـكَ...! إذا لم يكنِ العدلُ عندي فعند مَنْ يكونُ...؟

فقال عمرُ بـــنُ الخطـــابِ ﷺ : يـــا رســـولَ اللهِ، ألا أقتلُهُ...؟

فقال: لا، دَعْهُ فإنه سيكونُ له شيعةٌ يتعمقون في الديـنِ[1] حتى يخرجوا منه كما يخرجُ السهمُ من الرمّيةِ.[2]

وهذا إيذاءٌ لرسولِ الله ﷺ ، ومسٌ لعدالتِهِ، وسوءُ أدبٍ معه، ولذلك نهى اللهُ عز وجل المؤمنين عن إيذاءِ رسولِهِ ﷺ لأنها من صفاتِ اليهودِ قتلةِ الأنبياء، الذين قال اللهُ عز وجل فيهم: **﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآياتِ اللهِ ويقتلون النبيينَ بغيرِ الحق ذلك بما عصَوا وكانوا يعتدون ﴾[3] ﴿ إن الذين يكفرون بآياتِ اللهِ ويقتلونَ النبيينَ بغيرِ حقٍ ويقتلون الذين يأمرون بالقسطِ من الناسِ فبشّرْهم بعذابٍ أليمٍ. أولئك الذين حبطَتْ أعمالُهُم في الدنيا والآخرةِ ومالهمْ من ناصرين ﴾[4].**

لذلك قال اللهُ تعالى: **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذَوا موسى فبرَّأَهُ اللهُ مما قالوا وكان عند اللهِ وجيهاً ﴾[5]**

---

(١) يتعمقون في الدين: يتتبعون أقصاه. (٢) الرمّية: الشيء الذي يرمى به.
(٣) الآية ٦١ من سورة البقرة. (٤) الآيتان ٢١_٢٢ من سورة آل عمران.
(٥) الآية ٦٩ من سورة الأحزاب.

وإيذاؤهُ ﷺ يتمثّلُ بقولِ ذي الخويصرةِ للنبي ﷺ في قسمِهِ الغنائمَ: لم أركَ عدلتَ.[1]

وذكر القرطبي أن رجلاً من الأنصارِ قال: إن هذه القسمةَ ما أُرِيدَ بها وجهُ الله، فذُكِرَ ذلك للنبي ﷺ فغضبَ وقال: رحِمَ اللهُ موسى لقد أُوذِيَ بأكثرَ من هذا فصَبرَ.[2]

---

(١) سيرة ابن هشام. (٢) تفسير القرطبي.

موقفُ الأنصارِ

أعطى النبيُّ ﷺ قريشاً و المؤلفةَ قلوبُهم وبعضَ القبائلِ العربيةِ وأغدقَ عليهِمُ العطاءَ من غنائمِ هوازنَ، ولم يُعطِ الأنصارَ منها شيئاً، فحَزِنوا لذلك، ووجدوا[1] في أنفسهِم، حتى كثرت منهمُ القالةُ، فقال بعضُهم: لقد لقيَ واللهِ رسولُ الله ﷺ قومَهُ، وخافوا أن يتخلّى عنهم حين رجَعَ إلى بلدِهِ مكةَ.

فدخل عليه سعدُ بنُ عبادةَ فقال: يا رسولَ اللهِ، إن هذا الحيَّ من الأنصارِ قد وَجدوا عليك في أنفسِهِم لما صنعتَ في هذا الفيءِ الذي أصبتَ فقسمتَ في قومِكَ، وأعطيتَ عطايا عِظاماً في قبائلِ العربِ، ولم يكُ في هذا الحيِّ من الأنصارِ منها شيءٌ.

فقال رسولُ الله ﷺ : فأين أنتَ من ذلك ياسعدُ...؟

قال: يارسولَ اللهِ، ما أنا إلاّ من قومي.

قال: فاجَمعْ لي قومَكَ في هذه الحظيرةِ.

---

(١) وجدوا في أنفسهم: حزنوا.

فخرج سعدٌ ﷺ ، فجمع الأنصارَ، فأتاهُمُ النبـــيُّ ﷺ ، فحمِدَ اللهَ وأثنى عليه بما هو أهلُهُ، ثم قال: يا معشرَ الأنصــــارِ، ماقالةٌ بلَغتني عنكــــم[1]...؟ وجِــدَةٌ [2] وجدتموهــا علــيَّ فــي أنفسِكم . . .؟

ألم آتكِمْ ضُلّالاً فهداكمُ اللهُ، وعالةً فأغناكُمُ اللهُ، وأعــــداءً فألَّفَ اللهُ بين قلوبكُمْ. . .؟

قالوا: بلى، اللهُ ورسولُهُ أَمَنّ[3] وأفضلُ.

ثم قال:ألا تجيبونني يا معشرَ الأنصارِ...؟

قالوا: بماذا نجيبُكَ يا رسولَ الله. . .؟ للهِ ولرسولِهِ المــنُّ والفضلُ.

قال ﷺ : أما واللهِ لو شئتم لقلتم فلَصَدَقتم، ولَصُدِّقتُــــم: أتيتَنا مكذَّباً فصدَّقناكَ، ومخذولاً فنصرناكَ، وطريـــــداً فآوينـــاكَ، وعائلاً فآسيناكَ.[4]

---

(١) القالة: الكلام الرديء. (٢) جدة: عتاب، والعالة: جمع عائل، وهو الفقير.

(٣) المن: للفضل والنعمة. (٤) آسيناك: جعلناك كواحد منا.

أَوَجدتُم يا معشرَ الأنصارِ في أنفسِكم في لعاعـةٍ[1] مـن الدنيا تألّفتُ بها قوماً ليسلموا، ووكلتُكم إلى إسلامِكم.
ألا ترضَون يا معشرَ الأنصارِ أن يذهبَ الناسُ بالشاةِ والبعيرِ، وترجعوا برسولِ اللهِ إلى رحالِكم...؟

فو الذي نفسُ محمدٍ بيدِه، لولا الهجرةُ لكنتُ امـرأً مـن الأنصارِ، ولو سلك الناسُ شِعباً[2]، وسـلكتِ الأنصـارُ شِـعباً، لسلكتُ شِعْبَ الأنصارِ، اللهم ارحمِ الأنصارَ، وأبناء الأنصـار، وأبناءَ أبناءِ الأنصار.

فبكى القومُ حتى أخضلوا لحـاهم[3]، وقـالوا: رضينـا برسولِ الله قَسْماً وحظّاً.

فرحمَ اللهُ الأنصارَ، ورضي عنهم وأرضاهم، وهنيئاً لـهم هذه القسمةَ، وهذا الحظَّ، وهذا الإيمانَ، وهـذه الثقـةَ والمحبـةَ

---

(١) اللعاعة: نبتة خضراء ناعمة.
(٢) الشعب: الطريق بين جبلين.
(٣) أخضلوا لحاهم: بلّوها بالدموع

والصحبةَ، لقد رضوا برسولِ الله ﷺ قَسْماً وحظــاً، فرضيــهم أصحاباً وإخواناً وأحباباً وما أجملَ قولَ النبي ﷺ:[1]

﴿ ذاق طعمَ الإيمانِ مَنْ رضيَ باللهِ رباً، وبالإسلامِ ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً ﴾.

ومن تكنْ برسولِ اللهِ نصرتُــهُ إنْ تلْقَهُ الأسدُ في آجامِها تَجِمِ
ولن ترى من وليٍّ غيرِ منتصرٍ به ولا من عدوٌ غيرِ مُنقَصِــمِ
أحــلَّ أمتَـــهُ في حــرزِ مِلّتِــهِ كالليثِ حلَّ مع الأشبالِ في أجَمِ

(١) صحيح مسلم.

قولُ حسانَ بنِ ثابتٍ في توزيعِ الغنائمِ

قال ابن هشام: ولما أعطى رسولُ الله ﷺ ما أعطى في قريشٍ وقبائلِ العربِ ولم يعطِ الأنصارَ شيئاً، قــال حســانُ بــنُ ثابتٍ يعاتبُهُ في ذلك:

زادتْ همومٌ فماءُ العينِ منحــدِرٌ   سَحَّــاً إذا حفَلَتْهُ عَبْــرةٌ دِرَرُ[١]

وجــداً بشمّاءَ إذ شمّاءُ بــهكنةٌ   هيفــاءُ لا دَنَسٌ فيها ولا خَوَرُ[٢]

دعْ عنك شمّاءَ إذ كانــت مودتُــها   نزراً وشــرُّ وصــالِ الواصلِ النزرُ[٣]

وأتِ الرسولَ فقلْ يا خيرَ مؤتَمَنٍ   للمؤمنيــن إذا لم يعدَلَ البــشر

علامَ تُدعى سُلَيمٌ وهــي نازحةٌ   أمامَ قومٍ هُم آوَوْا وهم نصروا

سمّاهُمُ اللهُ أنصــاراً بنصرهــمُ   دينَ الهدى وعَوانُ الحربِ تستعرُ[٤]

وسارعوا في سبيلِ اللهِ واعترفوا   للنائباتِ وما خاموا وما ضجروا[٥]

والناسُ ألْبٌ علينا فيك ليس لنا   إلا السيوفُ وأطرافُ القنا وَزَرُ[٦]

نجالدُ الناسَ لا نُبقي على أحــدٍ   ولا نضيّعُ ما توحــي به السُّوَرُ[٧]

---

(١) سَحّاً: غزيرة، وحفلته: جمعته، ودرر: دارّة وغزيرة وسائلة.

(٢) الوجد: الحزن، وشماء: اسم امرأة، وبهكنة: كثيرة اللحم، هيفاء: ضامرة الخصر.

(٣) النزر: القليل. (٤) الحرب العوان: التي قوتل فيها مرة بعد مــرة. وتســتعر: تشــتد وتشتعل. (٥) اعترفوا: صبروا، والنائبات: المصائب وحوادث الدهر، خاموا: جبنوا.

(٦) ألب: مجتمعون، والقنا: الرماح، والوزر: الملجأ.

(٧) نجالد: نقاتل، والسور: هي سور القرآن، يريد أنهم يقاتلون أعداءهم ويحافظون علــى تعــاليم القرآن وأحكامه ويتمسكون بها.

ولا تَـهِرُ جناةُ الحـربِ نادِيَـنا ونحن حيـن تلظّى نارُها سُعُرُ[1]

كما رَدَدْنا ببـدرٍ دون ما طلبـوا أهـلَ النفاقِ وفينا ينزلُ الظَّفَرُ[2]

ونحن جندُكَ يومَ النَّعْفِ من أُحُدٍ إذ حَزَّبَتْ بطراً أحزابَها مُضَـرُ[3]

فما وَنَينـا وخِمنـا ثم ما خَبَروا مِنّا عِثاراً وكلُّ الناسِ قد عثَرُوا[4]

---

(١) لا تهر: لا تكره، وجناة الحرب: الذين يخوضون غمارها، ونادي القوم: مجلسهم، وسعر: توقد نار الحرب.

(٢) ويروى (كم) بدل كما.

(٣) النعف: أسفل الجبل، وحزّبت: جمعت، يريد أنهم جنود رسول الله ﷺ في جميع الغزوات والمشاهد، وقد خصّ هنا غزوتي أحد والأحزاب.

(٤) ونَيْنا: ضعفنا وفترنا، وخِمنا: جبنا.

الخاتمة

انتهتْ معركةُ حُنينٍ بتخليدِ الله عز وجل وذكرِهـــا فـــي كتابِهِ العزيز لتكونَ درساً بليغاً. وعظةً وعـــبرةً يســـتلهمُ منـــها المسلمون الصبرَ والثباتَ والاعتمادَ على الله تعالى في استجلاب النصرِ والتأييدِ، قال الله تعالى:[1] ﴿ **لقد نصرَكمُ اللهُ في مواطـنَ كثيرةٍ ويومَ حُنينٍ إذ أعجبتكم كثرتُكم فلـم تُغْـنِ عنكـم شـيئاً وضاقَتْ عليكمُ الأرضُ بما رَحُبَتْ ثم ولّيتُم مُدبِرين. ثم أنزلَ اللهُ سكينَتَهُ على رسولِهِ وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لـم تروهـا وعَذَّبَ الذين كفروا وذلك جزاءُ الكافرين** ﴾ صدق الله العظيم.

قال ابنُ كثيرٍ في تفسيرِه: يذكـــرُ اللهُ تعــالى للمؤمنيـــن فضلَهُ عليهم وإحسانَهُ لديهِم في نصرِه إياهم في مواطِنَ كثـــيرةٍ من غزواتِهِم مع رسولِهِ، وأن ذلك من عندِ الله تعـــالى وبتـــأييدِهِ وتقديرِهِ، لا بعَدَدِهم ولا بعُدَدِهم، ونبههم على أن النصرَ من عندِهِ سواءٌ قلَّ الجمعُ أم كثُرَ، فإن يومَ حُنينٍ أعجبَتْهم كثرتُهم ومع هـذا ما أجدى ذلك عنهم شيئاً فَولّوا مدبرين إلا القليلَ منهم مع رسـولِ اللهِ ﷺ، ثم أنزلَ نصرَهُ وتأييدَه على رسولِهِ وعلـــى المؤمنيـــن

---

(١) الآيتان:٢٥-٢٦ من سورة التوبة.

الذين معه ليُعلِمَهم أن النصر من عندِه تعالى وحدَه وبـإمدادِه وإنْ قَلَّ الجمعُ، فـ ﴿ كم من فئةٍ قليلةٍ غَلَبَتْ فئةً كثـيرةً بـإذنِ الله واللهُ مع الصابرين ﴾.[1]

وقال القرطبي: فقال بعضُهم لن نُغلَبَ اليومَ عن قلةٍ، فوُكِلوا إلى هذه الكلمةِ، فكانتِ الهزيمةُ في الابتداءِ إلى أن تراجعوا، فكان النصرُ والظفرُ للمسلمين ببركةِ سيدِ المرسَلين ﷺ، فبيَّن اللهُ عز وجل في هذه الآيةِ أن الغلبةَ إنما تكونُ بنصرِ اللهِ لا بالكثرةِ، وقد قال ﴿ وإن يخذلْكم فمن ذا الذي ينصُرُكم من بعدِه ﴾ [2].

كما خلَّدَ شعراءُ الرسولِ ﷺ معركةَ حُنينٍ، ووجدوا فيها المادةَ الخصبةَ، والميدانَ الواسعَ لبيانِ فضلِ اللهِ تعالى على عبادِه، وعظمةِ الرسولِ ﷺ، وثباتِ أصحابِهِ حوله للدفاعِ عنه وافتدائهِ بأرواحِهم ودمائِهِم.

وفي ذلك يقولُ عباسُ بنُ مرداسٍ:

مَنْ مبلغُ الأقـوامِ أن محمداً ... رسولَ الإلهِ راشدٌ حيثُ يَمَّما[3]
دعا ربَهُ واستنصرَ اللهَ وحدَهُ ... فأصبح قد وَفَّى إليه وأنعَما

---

(١) تفسير ابن كثير. (٢) تفسير القرطبي. (٣) يمّم: قصد وتوجه.

سَرينا وواعدْنا قُـدَيـداً محـمـداً   يؤُمُ بنا أمراً مـن الله مُـحكَمـا

تمادَوا بنا في الفجرِ حتى تبـيّـنوا   مـع الفجرِ فتياناً وغاباً مُقوَمـا[1]

على الخيلِ مشدوداً علينا دروعَنـا   و رَجلاً كدُفّاعِ الأتيِّ عـرمرمـا[2]

فإن سَراةَ الحيِّ إن كـنتَ سـائـلاً   سُلَيمٌ وفيهمْ منهـمُ مَنْ تسلّمـا[3]

وجندٌ من الأنصارِ لا يـخذلـونـه   أطاعـوا فما يعصونه ما تكلمـا

فإن تكُ قد أمّرْتَ في القومِ خـالـداً   وقـدَّمـتَـهُ فإنـه قـد تقدّمـا

بـجنـدٍ هداهُ اللهُ أنـتَ أمـيـرُهُ   تصيبُ به في الحق مَنْ كـان أظلمـا

حلَـفْـتُ يـميـنـاً بـرةً لمـحمـدٍ   فـأكملتُها ألفاً من الخيلِ مُلجَمـا

وقـال نبـيّ المـؤمنين تـقدمـوا   وحُبَّ إلينـا أن نـكونَ المقدَّمـا

وبتنا بنهي المستديرِ ولـم يـكـنْ   بنا الخـوفُ إلا رغبةً وتحزُّمـا

أطعناك حتى أسـلمَ الناسُ كـلُّهـم   وحتى صبَحْنا الجمعَ أهلَ يَلَمْلَما[4]

يضِلُّ الحصانُ الأبلقُ الوردُ وسطَهُ   ولا يطمـئنُّ الشيخُ حتى يُسَوَّما[5]

سَمَونا لهم وِرْدَ القطا زفَّةَ ضحـىً   وكلّ تراهُ عن أخيـه قد احجما[6]

لَـدُنْ غُدْوَةً حتـى تركـنا عشيـةً   حُنيناً وقـد سالَتْ دوافِعُـه دما[7]

إذا شئتَ من كـلٍّ رأيـت طِمـرّةً   وفارسَها يهوي ورمحاً مُحَطَّما[8]

وقد أحرزَتْ منا هوزان سَرْبَـهـا   وحُبَّ إليها أن نخيبَ ونُحرَمـا[9]

---

(١) تماروا بنا: شكوا فينا، والغاب: الرماح. (٢) رجلاً بفتح الراء: مشاة، والآتي: السيل يأتي من بلد إلى بلد، ودفاعاً: ما يدفعه أمامه، والعرمرم: الكثير الشديد.

(٣) سُلَيمٌ: من النسب إلى سليم وهو خبر إن.(٤) يلملم: جبل على مرحلتين من مكة، وهو ميقات الحاج القادم من اليمن.(٥) الحصان الأبلق: الذي فيه بياض مع سواد. والورد: المشرب حمرة.(٦) سمونا: نهضنا لقتالهم، والقطا: طائر معروف، وزفّةُ الضحى: أسرعَ به الضحى وساقَهُ. وأحجم عن أخيه: شغل عنه وتراجع.(٧) دوافعه: مجاري السيول فيه.(٨) طمرة: فرس سريعة ووثابة، والمحطم: المكسر. (٩) السرب: الماشية.

وقال خديجُ بنُ العوجاءِ النصريُ:

لما دنونا من حُنينٍ ومـــائِـــهِ   رأينا سواداً منكرَ اللونِ أخصفا[1]

بملمومةٍ شهباءَ لــو قذفوا بهـــا   شماريخَ من عزوى إذن عــاد صفصفا[2]

ولو أن قومي طاوعتني سَرَاتُهم   إذن مالقينــا العارضَ المتكَشِّــفا[3]

إذن ما لقيــنا جُندَ آل مــحمــدٍ   ثمــانينَ ألفاً واستمــدوا بخندفا[4]

وقال بجيرُ بنُ زهيرِ بنِ أبي سُلْمى يذكرُ حنيناً والطائفَ:

كانــت عُلالةُ يومَ بطــنِ حنيّــنِ   وغداةَ أوطاسٍ و يوم الأبــرقِ[5]

جَمَعَتْ بإغــواءِ هوازن جمعَهـــا   فــتبدَّدوا كــالطائرِ المــتمزقِ[6]

لــم يمنــعوا منا مقامــاً واحــداً   إلا جــدارَهُمُ و بطنَ الــخنــدقِ

ولقــد تعرَّضنا لكيمــا يخرجــوا   فــتحصــنوا مِنّابباب مغْــلــق

تــرتــدُ حســراناً إلى رجراجــةٍ   شــهباءَ تلمعُ بالمنايا فيــلــق[7]

ململومةٍ خضراءَ لــو قــذفوا بها   حَــصناً لظلَّ كأنه لم يُخــلَــقِ[8]

---

(١) سواداً: يعني به أشخاصاً بعيدين، والأخصف: الذي فيه ألوان كثيرة (٢) ململومة: أي كثيبة مجتمعة، وشهباء: كثيرة السلاح، والشماريخ:أعالي الجبال، واحدها: شمراخ. (٣) العارض: السحاب، والمتكشف: الظاهر. (٤) خندف: قبيلة.(٥) العلالة: قتال بعد قتــــال، وهي من العلل، وهو الشرب بعد الشرب، والأبرق: موضع.

(٦) بإغواء: هو الغي خلاف الرشد.

(٧) حسرى: جمع حسير، وهو الضعيف، أو هو الذي لا درع لــه، والرجراجــة: شــدة الحركة والاضطراب، والمراد: الكتيبة الضخمة التي يموج بعضها في بعض، والفيلــق: الجيش الكثير الشديد، من الفلق، وهي الداهية.(٧) ململومة: مجتمعة، والحصــن: جبــل بأعلى نجد.

مشيَ الضّراء على الهَرَاسِ كأننا   قُــدْرٌ تفرّقُ في القياد و تلتقي[1]
في كل سابغةٍ إذا ما استحصنَـتْ   كـالنَّهي هبَّتْ ريحُهُ المترقرقِ[2]
جُــدُلٌ تمــسُّ فضــولُهنَّ نعــالَنا   مــن نســجِ داودٍ و آلِ مُحَرِّقِ[3]

تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين
وإلى اللقاء مع معركةٍ إسلاميةٍ أخرى
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) الضراء: الكلاب، أو الأسود الضارية، والهراس: نبت له شوك. وقدر: الخيل تجعل أرجلها في مواضع أيديها إذا مشت، والواحد أقدر.

(٢) السابغة: الدرع، والنهى: الغدير من الماء، والمترقرق: المتحرك.

(٣) جُدُلٌ: جمع جدلاء، وهي الدرع الجيدة النسج، وآل محرق: هم آل عمرو بن هند ملك الحيرة.

الفهرس

معارك عربية خالدة

٦

معركة اليمامة

اعداد

عبد القادر الشيخ ابراهيم

مراجعة

أحمد عبد الله فرهود

دار القلم العربي

منشورات
دار القلم العربي

الطبعة الأولى
1421 - 1420 هـ 2000 م

عنوان الدار:
سورية - حلب - خلف الفندق السياحي
ص.ب: 78 هاتف: 2213129 فاكس: 2212361 21 963+
البريد الالكتروني: E-mail : qalam_arabi@naseej.com

بسم الله الرحمن الرحيم

معركةُ اليمامة

تمهيد :

انتقلَ رسولُ الله ﷺ إلى جوارِ ربهِ ، فكانَتْ وفاتُهُ من أكبرِ المصائبِ التي أُصيبَ بها المسلمون في حياتِهم .

فبوفاتِهِ ﷺ انقطعَ الوحيُ من السماء ، وتوقَّفَ نزولُ آياتِ القرآنِ الكريمِ ، وحُرِمَ المسلمون استمرارَ فرضِ الحدودِ والتشريعِ والأحكام ، وفقدوا مجالسَ العلم التي كان يتصدرها رسولُ الله ﷺ ، ويستأنسون بها ، وينقلونها إلى أبنائِهِم وأهليهم وذويهم ، يقولُ رسولُ الله ﷺ: (مَنْ أُصيبَ بمصيبةٍ فلْيذكرْ مصيبته بي فإنها أعظمُ المصائبِ) وبوفاةِ النبي ﷺ صُعِق المسلمون، وبهتوا ، وتحيروا في أمرِهِم ، وزُلزِلوا زلزالاً شديداً، ولم يتصورْ بعضهم أن يأتي عليهم يومٌ يفقدون فيه رسولَهم ، فكانتِ المصيبةُ أكبرَ منهم فلم يستوعبوها ، ولم تحتملْها

عقولُهم ، وجعلوا يقولون : لم يمت النبيُّ ﷺ ، إنما هو بعضُ ما كان يأخذُه عند الوحي .

وجاء أبو بكرٍ الصديقُ ﷺ فكشف عن وجهِهِ وقَبَّلَ بين عينيهِ وقال : أنتَ أكرمُ على الله أن يميتك...!! ثم قال : قد والله ماتَ رسولُ الله ﷺ .

وكان عمرُ ﷺ في ناحيةِ المسجدِ فقال : والله ما ماتَ رسولُ الله ﷺ، ولا يموتُ حتى يقطعَ أيديَ أناسٍ من المنافقين وأرجلَهم ، فقام أبو بكرٍ الصديقُ ﷺ فصعدَ المنبرَ فقال : مَنْ كان يعبدُ الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموتُ ، ومن كان يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد ماتَ ، ثم تلا قولَهُ تعالى : (وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلَتْ من قبلِهِ الرسلُ أ فإنْ ماتَ أو قُتلَ انقلبتم على أعقابكمْ ومَنْ ينقلبْ على عقبيهِ فلنْ يضرَّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين)[1]

---

[1] الآية ١٤٤ من سورة آل عمران .

فسكنتْ ثورةُ عُمر ﷺ، وزالَ دهشه واستغرابه وقال : لكأني لم أقرأها إلا يومئذٍ، ورجع عن قولِهِ : واللهِ ما مات رسولُ الله ﷺ الخ ..

وقال بعد أن بويعَ الصديقُ ﷺ عنه خليفةً : فإني قلتُ لكم أمسِ مقالةً وإنها لم تكنْ كما قلتُ ، وإني واللهِ ما وجدتُ المقالةَ التي قلتُ لكم في كتابِ أنزلهُ اللهُ، ولا في عهدٍ عهدِهُ إليَّ رسولُ الله ﷺ ، ولكني كنتُ أرجو أن يعيشَ رسولُ الله ﷺ حتى يَدْبُرَنا [1] فاختار الله عز وجل لرسولِهِ الذي عنده على الذي عندكم ، وهذا الكتابُ الذي هدى اللهُ به رسولَهُ فخذوا به تهتدوا لما هُدِي له رسولُ الله ﷺ ، وإن اللهَ قد جمع أمرَكم على خيرِكم صاحبِ رسولِ الله ﷺ ، وثاني اثنين ! إذهما في الغار ، فقوموا فبايعوه .

فقام الناسُ يبايعون أبا بكرٍ ﷺ بعد بيعةِ السقيفةِ .

---

[1] يريد حتى يكون آخرنا موتاً .

خطبة أبي بكرٍ بعد تولّيهِ الخلافةَ

بايع جميعُ المسلمين أبا بكرٍ ورضوه لأنفسهِم إماماً وخليفةً لهم بعد رسولِ الله ﷺ ، حتى عليُّ بنُ أبي طالبٍ ، والزبيرُ بنُ العوّامِ رضي الله عنهما ، فلما تمت البيعةُ لأبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه قام فصعِدَ المنبرَ فألقى خطبةً بليغةً وجامعةً بيَّنَ فيها سياستَهُ في الحكم ، وفهمَهُ في إدارة شؤونِ الدولةِ ، والسهرِ على راحةِ الأمةِ ، وتوفيرِ الأمنِ و الأمان لجميعِ أفرادها فقال : أما بعد أيها الناسُ .

فإني قد ولّيتُ عليكم ولستُ بخيركم ، فإن أحسنتُ فأعينوني ، وإن أسأتُ فقوّموني ، الصدقُ أمانةٌ ، والكذبُ خيانةٌ ، والضعيفُ فيكم قويٌّ عندي حتى أُرجع حقَهُ إن شاء الله ، والقويُّ فيكم ضعيفٌ حتى آخذَ الحقَ منه إن شاء الله .

لا يدعُ قومٌ الجهادَ في سبيلِ الله إلا خذَلَهُمُ الله بالذلِ ، ولا تشيعُ الفاحشةُ في قومٍ إلا عمَّهمُ اللهُ بالبلاءِ ، أطيعوني ما أطعت الله ورسولَهُ ، فإذا عصيتُ الله ورسولَهُ فلا طاعةَ لي عليكم ، قوموا إلى صلاتِكم يرحمكُمُ اللهُ .

أولُ أعمالِ الخليفةِ أبي بكرٍ الصديقِ

بعثُ جيشِ أسامةَ بنِ زيدٍ :

أولُ عملٍ قام به أبو بكرٍ ﷺ بعد استخلافِهِ ، بعثُ جيشِ أسامةَ بنِ زيدٍ ﷺ ، فأشار عليه كثيرٌ من الصحابةِ أن لا ينفذَ هذا الجيشَ لحاجةِ المسلمين إليه لمهمةٍ أكبرَ في رأيهِم في الظروفِ الحرجةِ التي كانت تمرُّ بهم ، لأن بعضِ القبائلِ العربيةِ ارتدَّتْ عن الإسلام ، خاصةً أحياءَ العربِ حولَ المدينةِ كما سيأتي بيانُهُ في موضعِهِ إن شاء الله تعالى .

فاجتمع أصحابُ رسولِ الله ﷺ عند أبي بكرٍ فقالوا : يا أبا بكرٍ ، رُدَّ أسامةَ وأصحابَهُ ، أتوجهُهُمْ إلى الرومِ وقدِ ارتَّدتِ العربُ حولَ المدينةِ ...؟

فقال : والذي لا إلهَ غيرُهُ لو جَرَّت الكلابُ بأرجلِ أزواج رسولِ الله ﷺ ما رددت جيشا وجَّهه رسول الله ، ولا حللت لواءً عقَدَهُ رسولُ الله ﷺ .

ومضى أسامةُ بنُ زيدٍ ﷺ بجيشِهِ لا يمرُّ بقومٍ يريدون الارتداد عنِ الإسلام إلا قالوا : لولا أن للمسلمين قوةً ملخرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعُهُم حتى يلقوا الرومَ .

فلما التقى أسامةُ وجَيشُهُ بالروم قاتَلُهم فهزمَهُم ، ورجع بجيشهِ إلى المدينةِ سالماً فثبتَ هؤلاء على الإسلامِ ، وكان هذا من فضلِ الله تعالى ورحمتِهِ بعبادهِ وتوفيقِهِ لخليفةِ المسلمي الذي أبدى بتصرفِهِ هذا ذكاءً خارقاً ، وفقهاً واسعاً، ورأياً سديداً ، جعل بعضَ المرتدين يهابون المسلمين ، ويحجمون عن القيام بهجومٍ على المدينةِ ، وذلك أن أبا بكر الصديقَ ﷺ أخذ بالحيطة الكاملةِ فجعل حولَ المدينةِ حراساً أشداءَ قاموا بحراسةِ المدينةِ بكلِ حذرٍ وتيقظٍ لحمايتها من هجومٍ متوقعٍ من الأعرابِ الضاربين حولها والطامعين بها لاعتقادهم أنها أصبَحتْ خاويةً من المدافعين عنها بعد مسيرِ جيشِ أسامةَ ، وكان هؤلاءِ الحراسُ من خيرةِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ وأفضلِهم منهم : عليُّ بنُ أبي طالب ، والزبيرُ بنُ العوّام ، وطلحةُ بنُ عبدِ الله ،

وسعدُ بنُ أبي وقاصٍ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ ، وعبدُ اللهِ بـــنُ مسعودٍ رضي الله عنهم وأرضاهم .

أخبارُ الـرّدةِ

الأســود العنســي :

في أواخرِ أيام النبيّ ﷺ ارتدَّ أناسٌ من مذحجٍ عنِ الإسلامِ، وعلى رأسهِم الاسودُ العنسيُّ الذي ادّعى النبوةَ واستولى علـى اليمنِ ، بعد أن قتل حاكمها شهرَ بنَ باذام الفارسيَّ الذي كان النبيُّ ﷺ قد عيَّنَهُ والياً عليها ، وتزوَّجَ الأسودُ امرأةَ شهرِ بـنِ باذام وكانَتْ جميلةً ومؤمنةً ، وكتب الاسودُ العنسـي واسْمُـهُ عبهلةُ بن كعبِ بن غـوثِ ، إلى عمـالِ النـبيّ ﷺ : أيـها المتمردون علينا ، أمسكوا علينا ماأخذتُم من أرضنـا ، وردّوه إلينا فنحن أولى به منكم ، وأنتم على ماأنتم عليه ثم توجَّـه إلى نجرانَ فأخذها بعد قتال دام عشرَ ليالٍ ، ثم قصد صنعاءَ فاحتلها بعد خمسٍ وعشرين ليلةً، وأخرج منها عمالَ النبيِّ ﷺ ، وعلـى رأسِهم معاذُ بنُ جبلٍ ﷺ الـذي ذهـب مـع أبي موسـى الأشعريﷺ إلى حضرموت ، التي سقطَتْ في يدِ الأسـود ، واستوثقتْ له اليمنُ بكمالِها وخضعتْ لسلطانهِ ، وكان شرساً شريراً لا يعرفُ معنى الرحمةِ فهابَهُ الناسُ ، وخـافوا بطشَـهُ ،

وارتدَّ كثيرٌ من المسلمين من أهلِ اليمنِ عن دينهِم ، وعاملَهُ مَنْ بقيَ معهم على الإسلام بالتقيةِ [1] حتى استطارَ أمرُهُ ، واشتدَّ ملكُهُ ، واستغلظ حكمُهُ الذي اعتمد البطشَ والظلمَ ، والحديدَ والنارَ .

صفةُ مقتلِهِ :

حين رأى الناسُ تماديَ الأسودِ في بطشِهِ وظلمِهِ ثاروا عليه، وهمّوا بقتلِهِ ، وكان معظمُ قوادِهِ ومستشاريه من المسلمين لكنهم أخفوا إسلامهم خوفاً من بطشِهِ وانتقامِهِ ، منهم فيروزُ الديلميُّ وكان ابنَ عمّ زوجةِ شهرِ بنِ باذام الذي قتله الأسودُ ثم تزوجّها ، وكانت تكرههُ كرهاً شديداً ، وكانتِ امرأةً مسلمةً مؤمنةً باللهِ ورسولِهِ ، فاتفقَتْ مع ابنِ عمها فيروزَ الديلمي على قتلِ الأسودِ ، خاصةً وقد جاء الأمرُ من النبيّ ﷺ إلى المسلمين في اليمنِ بقتلِ الأسودِ والقضاءِ على فتنته وأنصارِهِ ، فقام المسلمون بهذا الأمرِ خيرَ قيامٍ وبقيادةِ معاذِ بنِ جبل رضي الله عنه وهو الوالي الحقيقي على اليمن من قِبلِ

---

[1] التقية : أن يتكلم المؤمن بلسانِهِ وقلبُهُ مطمئنٌ بالإيمان ، ولا يقتل ولا يأتي مأثماً .

النبيﷺ ، فاتصل معاذُ بنُ جبلٍ ﷺ بالمسلمين في اليمنِ وبلَّغَهم أمرَ النبي ﷺ بقتالِ الأسودِ العنسي، فاتصلوا بزوجةِ الأسود لعلمهم بإسلامِها وكراهتها للأسود ، فقالوا لها : قد عرفتِ ما صنع هذا الرجلُ بقومِكِ ، قَتَلَ زوجَكِ ، وأكثرَ في قومكِ القتلَ ، وفضح النساءَ، وفعل مافعل فهل عندكِ ممّا لأةٌ عليه...؟

قالتْ : على أي أمرٍ ... ؟

قالوا : إخراجُهُ من اليمنِ .

قالتْ : أوقتلُهُ .

قالوا : أو قتلُهُ .

قالت : نعم ، واللهِ ماخلق اللهُ شخصاً هو أبغضُ إليَّ منه ، فما يقومُ للهِ على حقٍ ، ولا ينتهي له عن حرمةٍ ، فإذا عزمتم على تنفيذ ما اتفقتم عليه فأخبروني ، ثم اتفقوا معها أن يدخلوا عليه القصر وهو نائمٌ ، وأن تشعلَ لهم السراجَ علامةً على نومِهِ وعدمِ وجودِ حراسٍ معه ، فدخل عليه فيروزُ الديلمي فدَق

عنقهُ ، فسمع الحراسُ صوتَ حركةٍ غيرِ طبيعيةٍ ، فجاؤوا يهرعون إليه ويقولون : ماهذا ؟

فقالتِ المرأة : النبيُّ يُوحى إليه.فرجعوا .

وفي الصباح وقف فيروز ومَنْ معه من المسلمين على شرفةِ القصرِ وجعلوا ينادون بالأذان : أشهدُ أن محمداً رسولُ الله،وأن عبهلة [1] كذابٌ ، وألقوا برأسِهِ من الشرفةِ ، فلما رآه أصحابُهُ وقع الخوفُ في قلوبِهِم وغادروا أماكنهم هاربين ، فتبعهمُ المسلمون يقتلون منهم ، ويأسِرون منِ استسلم ، وأعزَّ اللهُ الإسلامَ وأهلهُ ، ورجع نُوّابُ الرسولِ ﷺ إلى أعمالهم وكتبوا كتاباً إلى رسولِ الله ﷺ يخبرونه به بمقتلِ الأسودِ والقضاءِ على حركتِهِ ، وروي عنِ ابن عمرَ رضي الله عنهما أنه قال : أتى الخبرُ إلى النبي ﷺ من السماء الليلةَ التي قُتِلَ فيها العنسيُّ ليبشرَنا ، فقال : قُتِلَ العنسيُّ البارحةَ ، قتله رجلٌ مباركٌ من أهلِ بيتٍ مباركين ، قيل : ومَنْ ...؟

قال فيروزُ ... فيروز .

---

[1] هو اسم الأسود العنسي كما تقدم

وعن فيروزَ قال : قتلنا الاسودَ ، وعاد أمرُنا في صنعاءَ كما كان ، إلا أنّا أرسلنا إلى معاذِ بنِ جبلٍ فتراضينا عليه ، فكـان يصلي بنا في صنعاءَ ، فواللهِ ماصلى بنا إلا ثلاثةَ أيامٍ حتى أتانـا الخبر بوفاةِ رسول الله ﷺ .

وكانتِ فرقةُ الأسودِ العنسي بأسرِها منكرةً لنبوة محمدٍ ﷺ مدعيةً النبوةَ لغيرِه ، فأذلها اللهُ تعالى وأذاقها العذابَ الأليـم ، وقضى عليها ، وسوف يذيقُها مُرَّ العذابِ في نار جهنمَ يـوم القيامة .

كما ارتدَّت بنو حنيفةَ عنِ الإسلام وعلى رأسِهِمْ مسـيلمةُ ابنُ حبيبِ الكذابُ الذي ادّعى النبوة في حيـاة النـبي ﷺ ، وكتب إليه يقولُ : من مسيلمةَ رسول الله ، إلى محمدٍ رسـولِ الله ، أما بعد :

فإن الأرضَ نصفُها لي ونصفُها لك ، ولكن قريشاً قـومٌ يعتدون .

فاجابه رسولُ الله ﷺ : من محمدٍ رسولِ اللهِ إلى مسـيلمةَ الكذابِ ، أما بعد :

فإن الأرضَ للهِ يورِثُها مَنْ يشاءُ من عبادِه والعاقبةُ للمتقين.

وبعد وفاةِ رسولِ الله ﷺ ارتدَّ جماعةٌ من بني تميم قومِ سجاحَ التي ادَّعتِ النبوةَ أيضاً .

كما ارتدَّتْ قبائلُ غسانَ وفزازةَ وغطفانَ وبنو سعدٍ ، وعلى رأسِهِم طليحةُ بنُ خويلدٍ الأسديُّ .

وهناك فريقٌ آخرُ ظلوا مسلمين لكنهم فرقوا بين الصلاةِ والزكاةِ ، فأقرّوا بالصلاة ، وأنكروا فرضَ الزكاةِ وقالوا : لا نوديّها إلا لمن صلاتُهُ سكنٌ لنا ، وقد مات ، فسقط حكمُ الزكاة .

ومنهم من جمع الزكاةَ من قومِهِ وذهب ليؤدّيها إلى الخليفةِ الصديقِ ﷺ ، فصَدَّهم مالكُ بنُ نويرةَ ، ومنعهم من أدائها .

كما ارتدَّتْ قبائِلُ أخرى عنِ الإسلامِ ، وأنكروا الشرائعَ ، وتركوا الصلاةَ والزكاةَ وغيرَهما وعادوا إلى ما كانوا عليه في الجاهليةِ .

وتمسَّكَ المؤمنون بدينِهم ، وخافوا بطشَ المرتدين ، وأخفوا عبادتَهم ، فلم يكن يُسجدُ للهِ تعالى في بسيطِ الأرضِ إلا في

ثلاثةِ مساجدَ : مسجد مكةِ المكرمةِ ، ومســـــجدِ المدينـــةِ ، ومسجدِ عبدِ القيسِ في البحرين في قريةٍ يقالُ لها جواثـــا ، وفي ذلك يقول شاعرُهم مفتخراً :

والمسجد الثالثُ الشرقيُّ كان لنـــا ... والمنبران وقولُ الفصلِ في الخُطَـبِ

أيـــامَ لا منـــبرٌ للنـــاس تعرفُـــهُ ... إلا بطيبةَ والمحجوبِ ذي الحُجُـبِ

وكان المؤمنون المتمسكون بدينهم محصورين في قريتِـــــهم جواثا ، فكتبوا إلى الخليفةِ أبي بكرٍ الصديقِ يستنجدونه ليـــهبَّ لإنقاذهِم ، فقال بعضهم :

ألا أبلِـــغْ أبـــا بكـــــرٍ رســـولا ... وفتيـــانَ المدينـــــةِ أجمعينـــا

فـــهل لكُـــمُ إلى قـــــومٍ كـــرامٍ ... قعـــودٍ في جواثـــا مُحْصَرينـــا

كـــأن دمـــاءهم في كـــــلِ فـــجٍ ... دماءُ البدنِ تُغْشي الناظرينـــا[1]

توكلنـــا علـــى الرحمـــنِ إنـــا ... وجدنـــا النصـــرَ للمتوكلينـــا

---

[1] تعشي : من عشا يعشو إذا كان لا يبصرَ ، وقيل : العشو ، هو النظر ببصر ضعيف .

في هذه الصورة المزعجةِ ، والظروف القاسيةِ ، والأحداث المؤلمةِ استقبل أبو بكرٍ الصديقُ ﷺ فجرَ خلافتِهِ ، فما عساهُ يفعلُ وهو خليفةُ رسولِ الله ﷺ ، والمسؤولُ عن دينِ الله وعبادِهِ أمامَ اللهِ والتاريخِ والإنسانيةِ .

عزمُ أبي بكر على قتال المرتدين :

كان أبو بكرٍ ﷺ مشهوراً برقةِ قلبهِ ، ولينِ خلقِهِ ، وإرهافِ حِسِّهِ إلى حدٍ اشْتُهِرَ فيه أنه دائمُ البكاءِ ، وكلُّ هذه الأخلاقِ اللينةِ لا تتناسبُ مع الظروف المحيطة بالإسلام ، والخلافةُ تتطلبُ الشدةَ والصرامةَ والحزمَ ، لكن شاءتْ إرادةُ الله تعالى أن يتحول أبو بكرٍ من اللينِ إلى الصلابةِ ، ومن الرقةِ إلى الشدةِ ، ومن الإرهافِ العاطفي إلى حزمِ العقلِ ، وصرامةِ الحكمةِ ، ففكر في الأمرِ ، ودرسَ الموقفَ ، واستعرضَ الحالةَ السياسيةَ للدولةِ ، والظروفَ المحدقةَ بها ، والأخطارَ المترتبةَ عليها ، فلجأ إلى قولِ اللهِ تعالى : (وشاوِرْهم في الأمرِ فإذا عزمتَ فتوكلْ على اللهِ) [1] فجمع أصحابَ رسولِ الله ﷺ ،

---

[1] الآية ١٥٩ من سورة آل عمران .

وأعلن أمامهم أنه يريدُ قتالَ كلِ مَنِ ارتدَّ عنِ الإسلامِ ، وغـيَّر وبدّل ، وحَرَّفَ كلامَ الله تعالى ، وأنه يرى العلاجَ في الحـزمِ ، والحكمَ للسيفِ .

فاستغرب عمرُ ﷺ قرارَ أبي بكرِ السريعَ والمفاجىءَ ، فقال متعجباً : كيف تقاتلُ الناسَ وقد قال رسولُ الله ﷺ : أُمـرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا لا إلهَ إلا اللهُ ، فمن قال لا إلـه إلا الله فقد عصم مني مالَهُ ونفسهُ إلا بحقِّهِ وحسابُهُ على الله ... ؟

فقال أبو بكرٍ : والله لأقاتلنّ من فرَّقَ بين الصلاةِ والزكاة، فإن الصلاةَ حقُ النفسِ ، والزكاةَ حقُ المالِ ، فمن صلىّ عصـمَ نفسَهُ ، ومن زكّى عَصَمَ مالهُ ، ومَنْ لم يصلِ قوتل على تـركِ الصلاةِ ، ومن لم يزكِّ أُخِذتِ الزكاةُ منه قهراً ، فإن نَصَبَ لنـا الحربَ قاتلناه .

ثم قال مقولتَهُ المشهورةَ : والله لو منعوني عقـالاً كـانوا يؤدونه إلى رسولِ الله ﷺ لقاتلتُهم على منعِهِ .

فسكتَ عمرُ، وسكتَ الناسُ وقد غشـــيُهُم الذهـــولُ ، وأخذتُهُم الدهشةُ حين رأوا حزمَ أبي بكرٍ وشـــدتَهُ وصرامتَـــهُ وصلابةَ رأيهِ ، وتصميمهُ على قتالِ أهلِ الردة .

لكنَّ سكوتَهم لم يكنْ سكوتَ شكٍ أو اضطرابٍ ، بـــل كان سكوتَ رضاً وقناعةٍ وإيمـــانٍ ، وجميعـــهم متحمســـون لمصلحةِ الإسلام ، والدفاعِ عنه ، ومقارعةِ كلِ خطرٍ ينـــزلُ به ويتهددُ أمنَهُ وسلامَةَ أفرادهِ ، من أجلِ هذا أيَّدوا رأيَ أبي بكـــرٍ ومالوا إليه ، ووافقوا على القتالِ .

يقولُ الفاروقُ عمرُ ﷺ : فوالله ماهو إلا أن رأيتُ الله عـــز وجل قد شرحَ صدرَ أبي بكرٍ للقتالِ فعرفتُ أنه الحقُ .

وبذلك يحرصُ المسلمون على أن تكون كلمةُ الذين كفروا السُفلى وكلمةُ اللهِ هي العليا ، ولتبقى رايةُ الإســـلامِ عاليـــةً خفاقةً عزيزةً كريمةً ، ولله العزةُ ولرسولِهِ وللمؤمنين .

مشروعيةُ قتالِ المرتدين :

لقد أعطى الإسلامُ الإنسانَ حريـــةَ التفكـــيرِ والتعبـــيرِ ، واختيارَ العقيدةِ التي يؤمن بها ويميلُ إليها ، ولم يُكرِهْ أحداً علـــى

الدخولِ في الإسلام بالقسوةِ والإكراهِ إلا عن رضىً وطواعيةٍ ، وفي ذلك يقولُ اللهُ عز وجل : (ولو شاء ربُك لآمَنَ مَــــنْ في الأرضِ كلُّهم جميعاً أفأنتَ تُكرِهُ الناسَ حتى يكونوا مؤمنين)[1] ويقولُ : (فذكّر إنّما أنتَ مذكّرٌ . لستَ عليهم بمسيطر)[2] .

فلقد بيَّنَ اللهُ عز وجل وظيفةَ النبيّ والداعيةِ بأنها تنحصرُ في التذكيرِ والتبليغِ ، (ما على الرسولِ إلا البـــــلاغُ واللهُ يعلـــمُ ماتبدون وما تكتمون)[3] ..

والإيمانُ أمرٌ قلبي ، ومن المستحيلِ التأثيرُ في وجدانِ المـــرء وعقلِهِ وقلبِهِ بالقوةِ والإكراهِ ، لذلك كان النبيُّ ﷺ في جميـــع مراحلِ دعوتِهِ وأساليبها يدعـــو إلى اللهِ بالحكمـــةِ والموعظـــةِ الحسنةِ، ولم يكنْ يُكرِهُ أحداً على الدخولِ في الإسلامِ ، فكــان نتيجةَ هذه السياسةِ الحكيمةِ أن دخلَ الناسُ في دينِ اللهِ أفواجــاً عن قناعةٍ وإيمانٍ .

---

[1] الآية ٩٩ من سورة يونس .

[2] الآيتان ٢١ ــ ٢٢ من سورة الغاشية .

[3] الآية ٩٩ من سورة المائدة .

ومَنْ دخل الإسلام غفر اللهُ عز وجلَّ ذنوبَهُ جميعاً ، قال الله تعالى : (قُلْ للذين كفروا إن ينتهوا يُغْفَرْ لهم ما قد سلف)[1] أي إن ينتهوا عن كفرِهم يُغْفَرْ لهم ما قد مضى قبل الإسلام من كفرٍ أوشركٍ أومالٍ أودمٍ لأن الإسلام يهدِمُ ماقبلَه. روى مسلمٌ في صحيحِهِ عن أبي شماسةَ المهري قال : حضرنا عمروَ ابنَ العاصِ وهو في سياقةِ الموتِ يبكي طويلاً ... الحديث ، وفيه : فقال النبيُّ ﷺ (أما علمتَ أن الإسلامَ يهدمُ ما كان قبله، وأن الهجرةَ تهدمُ ما كان قبلها ، وأن الحجَّ يهدمُ ما كان قبله...؟)[2].

(وهذا من فضلِ اللهِ تعالى وواسعِ رحمتِهِ ، مَنَّ اللهُ بها على عبادهِ الذين يخطئون ويذنبون ، ويقتحمون الكفرَ والجرائمَ ، ويرتكبون المعاصيَ والمآثمَ ، فلو كان ذلك يوجبُ مؤاخذةً لهم لما استدركوا أبداً توبةً ، ولا نالتهم مغفرةٌ ولذلك يسّرَ اللهُ تعالى عليهم قبولَ التوبةِ عند الإنابةِ ، وبَذَلَ لهُمُ المغفرةَ بالإسلامِ ، وهدَمَ عنهم جميعَ ما تقدمَ ليكون ذلك أقربَ

---

[1] الآية ٣٨ من سورة الأنفال .

[2] صحيح مسلم .

لدخولهم في الدينِ، وأدعى إلى قبولِهم لكلمةِ المسلمين ، ولو علموا أنهم يُؤاخَذون لما تابوا وما أسلموا) [1] ولذلك جعل الله عز وجل عقابَ المرتّدِ عنِ الإسلامِ أليماً ، لأنه تنكّرَ لفضلِ الله تعالى ، ورفض رحمتَهُ وعفوهُ وإحسانَهُ ، واستهزأ بالإسلام وعدالتهِ وتعاليمهِ ، وشجَّعَ غيرَهُ على الردّةِ ، فجعل من الإسلامِ سخريةً وألعوبةً يدخلُهُ متى شاء ، ويخرجُ منه متى شاء مستهتراً بأحكامهِ ، غيرَ عابىء بتشريعهِ ، لذلك قال رسولُ الله ﷺ : (مَنْ بَدَّلَ دينَهُ فاقتلوه) [2] وتبديلُ الدينِ تغييرُهُ وانتقالٌ منه إلى دينٍ آخرَ .

كما شدَّدَ اللهُ عزَّ وجلَّ الحكمَ على المرتدِ ، وتوعَّدَهُ بالعذابِ الأليمِ في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فبقتلِهِ أمام طائفةٍ من المسلمين ليكون عبرةً لكلِ مِنْ تسولُ له نفسُهُ الارتداد عنِ الإسلام ، وأما في الآخرة فبحبوط عملهِ ، وخلودهِ في نارِ جهنمَ والعياذُ بالله تعالى ، قال اللهُ عزَّ وجلَّ : (ومَنْ يرتددْ منكم عن دينهِ فيمُتْ وهو كافرٌ فاولئك حَبِطَتْ

---

[1] تفسير القرطبي .

[2] رواه الشيخان .

أعمالهم في الدنيا والآخرةِ وأولئك أصحابُ النارِ هم فيها خالدون)[1] .

وقال رسولُ الله ﷺ : (لا يحلُّ دمُ امرىءٍ مسلمٍ إلا بإحدى ثلاثِ خصالٍ : النفسُ بالنفسِ ، والثَّيبُ الزاني ، والتاركُ لدينهِ المفارق للجماعة) وهذه النصوصُ الشريفةُ كانت أدلةً قويةً وقطعيةً استندَ إليها أبو بكرٍ الصديقُ ﷺ لقتالِ المرتدين .

تجهيزُ الجيش :

اتخذ الخليفةُ أبو بكرٍ الصديقُ ﷺ الأدلة الشرعيةَ الآنفةَ الذكرِ أدلةً لتأديبِ المرتدين وحربهم وإرغامِهم إلى العودةِ إلى الإسلامِ ليحفظَ له هيبتَهُ ، ولتبقى رايتُهُ عاليةً خفاقةً ، فمن ياترى يكونُ أهلاً لإنجازِ هذه المهمةِ الصعبةِ ...؟ ومن سيقع عليه الاختيارُ لقيادةِ الجيشِ والقضاءِ على الحركاتِ المتمردة ، والإنفصاليةِ ..؟ ، وبسرعةٍ وبلا تردد اتجه أبو بكرٍ نحو خالدِ ابنِ الوليدِ ﷺ وقال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : نعم عبدُ

---

[1] الآية ٢١٧ من سورة البقرة .

الله وأخو العشيرة خالدُ بنُ الوليدِ سيفٌ من سيوفِ الله سلَّهُ الله على الكفارِ والمنافقين، وأعلن أمامَ الجميعِ أن خالدَ بنَ الوليد هو القائدُ العامُ للجيشِ الإسلامي في قتالِ أهلِ الردّةِ ، وأن جميعَ القادةِ والأمراءِ في هذه الحروبِ تبعٌ له وتحت تصرفِهِ وإمرتِهِ ، وأنهم يقاتلون تحت رايتِهِ لرفعِ لواءِ الإسلام والحفاظ على هيبتِهِ .

لقاءُ خالدٍ وطُليحةَ :

ثم قلّدَهُ اللواءَ ، وأمرهُ أن يذهبَ أولاً إلى طليحةَ الاسدي الذي ادعى النبوةَ كما تقدم ، وقام بمؤازرتِهِ عُيَينةُ بنُ حصنٍ الفزاري وقال لقومِهِ : واللهِ لنبيٌّ من أسدٍ أحبُّ إليَّ من نبي من بني هاشم وقد مات محمدٌ ، وهذا طُليحةُ فاتّبعوه ، فوافقهُ قومُهُ بنو فزارة على ذلك وانضموا إلى جيشِ طليحةَ الأسدي ، كما انضمَّ إليه قبائلُ عبسٍ وذبيانَ وكثيرون غيرُهم ، فأُصبح تحت قيادةِ طليحةَ عددٌ كبيرٌ من المقاتلين ، وقوةٌ يُحسَبُ لها ألفُ حسابٍ ، ولكنها قوةٌ لا يؤيدُها الحقُ ، ولا يدعمُها العدلُ .

إنها دعوةٌ قائمةٌ على الكذبِ والدجلِ والباطلِ ، وإن دعوةً قائمةً على أساسٍ من الكذب لن يكتبَ لها النجاحُ ، ولن تسودَ وإن دعمتها ووقفتْ إلى جانبها قوى البغي والشرِ والضلالِ ، وكلُّ مابنيَ على باطلٍ كانت نهايتُهُ الفشلَ والفشلَ الذريعَ ، (بل نقذفُ بالحقِ على الباطلِ فيدمغهُ فإذا هو زاهق)[1].

فأما الزبدُ فيذهبُ جفاءً وأما ما ينفعُ الناسَ فيمكثُ في الأرضِ [2] .

هذا هو القانونُ الإلهيُّ الخالدُ ، وهذه سنةُ الله في خلقِهِ ، ولن تجدَ لسنةِ الله تحويلاً ، لذا فإن مصيرِ الكفرِ مهدَّدٌ مهما يُحدِث من شغبٍ ، ومهما يجند من شياطين ، إنهم إذاً كرغوةٍ منتفشةٍ لا تلبثُ أن تضمَحِلَّ وتتلاشى وتذهبَ إلى غيرِ رجعةٍ .

وانطلق خالدٌ ﷺ بجنوده حتى التقى بُطليحةَ الأسدي ، ووقفتْ أحياءٌ كثيرةٌ من الأعرابِ يرقبون المعركةَ ، وينظرون على مَنْ تكونُ الدائرةُ ...؟ وقد سمعوا بشجاعةِ خالدٍ

---

(١) الآية ١٨ من سورة الأنبياء .

(٢) الآية ١٧ من سورة الرعد .

واستهانتِهِ بالموت ، وانتصاراتِهِ الكثيرة والمتلاحقةِ ، والآن سيكونُ اللقاءُ العنيفُ بينه وبين طُليحةَ الذي لا يَقلُّ بأساً وشجاعةً ومهارةً في الحروبِ عن خالدٍ ، لذلك وقفوا يرقبون بتلهفٍ نتيجةَ هذا النزال .

وكان أبو بكرٍ الصديقُ قد بعثَ عدِيَّ بنَ حاتم الطائيَّ لقومِهِ بني طيىء الذين تابعوا طليحةَ على الباطلِ ، وقال له : أدرِكْ قومَكَ لا يلحقوا بطليحة فيكون دمارُهم ، وذلك قبل إرسالِ خالدٍ .

فذهبَ عَديّ إلى قومِهِ بني طيىءٍ ، وحذَّرَهم مغبة الأمرِ وخطورتهُ ، وأمرهم أن يبايعوا الصديقَ ، ويرجعوا إلى أمرِ الله، ويذعنوا للحقِ .

فرفضوا أمرَهُ ، وأبوا أن يبايعوا الصديقَ وقالوا : لا نبايع أبا الفحلِ أبداً [1] .

فقال عديٌّ : والله ليأتينكم جيشٌ فلا يزالون يقاتلونكم حتى تعلموا أنه أبو الفحلِ الأكبر .

---

[1] يقصدون بأبي الفحل أبا بكر .

ولم يزلْ عديٌّ ينصحُ قومَهُ ، ويخاطبُهم بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ حتى لانوا واستجابوا لنصحه ، وتخلَّوا عن نصرة طليحةَ في اللحظةِ الأخيرة .

وأقبل خالدٌ ﷺ بجيشِهِ وقد جعل على مقدمةِ الأنصارِ ثابتَ بنَ قيسٍ ، وبعثَ بين يديه ثابت بنَ أقرم ، وعكاشةَ بنَ مِحْصنٍ طليعةً ، فلقيهما طليحةُ وأخوه سلمةُ فيمن معهما من الجُندِ ، فتبارزوا فقتلَ عكاشةُ بنُ مِحْصَنٍ جبالَ بنَ طليحةَ ، فحمل عليه طليحةُ فقتلهُ ثم شدَّ هو وأخوه سلمةُ على ثابتِ بنِ أقرم فقتلاه .

وجاء خالدٌ ﷺ فوجدهما صريعين ، فغضب لقتلِهما غضباً شديداً ، وانقضَّ على بني طيءٍ لينتقمَ منهم ، فناداه عديٌّ بنُ حاتم وقال له : أنظرني ثلاثة أيام ، فإنهم قد طلبوا مني ذلك حتى يبعثوا إلى من تعجّل منهم إلى طليحة حتى يرجعوا إليهم ، فإنهم يخشون إن تابعوك أن يقتل طليحةُ مَنْ سار إليه منهم ، وهذا أحبُّ إليك من أن يعجلهم إلى النارِ .

ولما انقضَتِ الأيامُ الثلاثةُ أقبل إليه عديٌّ ومعه خمسمئةِ مقاتلٍ من قومِهِ بني طيىءٍ ممنْ راجعَ الحقَّ ، فانضموا إلى جيشِ خالدٍ .

ثم قصد خالدٌ بني جديلةَ ، فقال له عَديٌّ : ياخالدُ ، أجّلني أياماً حتى آتيهم فلعلَّ اللهَ أن ينقذهم كما أنقذَ طيئاً .

فاستجاب له خالدٌ وأجَّلَهُ أياماً كما أراد .

وذهب عديٌّ إلى بني جديلةَ وأخذ يفاوضُهم حتى استجابوا له ، وتابعوه على رأيِهِ ، ورجعوا إلى الإسلام ، ولحقَ منهم ألفُ فارسٍ أصبحوا عوناً للمسلمين . وبعد أنِ انتهتِ المحاولاتُ السياسيةُ التي قام بها عديُّ بنُ حاتم ، وكانت لمصلحةِ المسلمين ، فقد آن لخالدٍ أن يقصِد طليحة ، ويصفّي معه حسابَ ردته وحركته الانفصاليةِ ، وادّعائِهِ النبوةِ كذباً ودجلاً ، وزوراً وبهتاناً .

وانطلق خالدٌ يطاردهُ حتى التقى معه في مكانٍ يقال له (بزاخةُ) .

اللقـــاء

والتقى الجيشان في بُزاخةَ ، واصطفَّ النـــاسُ للقتــالِ ، وجلس طليحةُ مُلتفاً في كساءٍ يدّعى أنه ينتظرُ الوحـــيَ مـن السماءِ ، وكان معه صاحبُهُ عيينة بنُ حِصْنٍ الذي ارتدَّ معه عنِ الإسلامِ ، وتابَعَهُ على الباطلِ .

ثم التحم الجيشان ، واستعرَتْ نارُ الحربِ ، واشتدَّ أوارُها، فكان عُيَنيةُ بنُ حصنٍ يقاتلُ المسلمين ثم يجيءُ إلى طليحةَ وهــو ملتَفٌّ في كسائِهِ فيسأَلُهُ :

أجاءك جبريلُ ...؟

فيقولُ : لا .

فيرجع عينيه فيقاتلُ ، ثم يعودُ إليه ثانيةً فيسالهُ : أجــاءك جبريلُ ...؟

فيقول : لا

فيرجع إلى قتالِ المسلمين حتى إذا ملَّ القتـــالَ وأجــهَدَهُ التعبُ رجع إلى طليحةَ يسأَلُهُ : هل جاءك جبريلُ ...؟

فيقولُ : نعم .

فيقولُ عُيينةُ : فما قال لك .. ؟

قال : قال لي إن لك رحاءً كرحاه ، وحديثاً لا تنساه .

فعلم عيينةُ أن طُليحةَ مفترٍ كذابٌ فقال له : أظنُّ أن قد علم اللهُ سيكونُ لك حديثٌ لا تنساه .

ثم قرر أن يفارقَهُ ، ويتخلى عنه لما تبيَّنَ له من كذبهِ ودجلِهِ ، فنادى قومَهُ فزارة وأمَرَهم أن ينسحبوا من المعركةِ فقال : يابني فزارةَ انصرفوا عنِ القتالِ فاستجابوا له ، وكفّوا أيديَهم ، وأغمدوا سيوفَهم ، وانفضّوا عن طُليحةَ ، وانسحبوا من أرضِ المعركةِ ، وهَرَبَ مِنْ هَرَبَ ، وأُسِرَ مَنْ أُسِرَ ، وبقي طُليحةُ وحيداً بعد أن ظهرَ كذبُه ، وكشفَ أمرُهُ ، ثم نظر حوله فلم يرَ أحداً يناصِرُهُ ويشدُّ أزرَهُ ، فنفض كساءه ، وركب فرسَهُ وكان قد أعدَّها ، وحمل امرأتَهُ النوارَ على بعير واشتدَّ هارباً إلى الشامِ ، وقضيَ أمرُهُ ، وتفرق جمعُهُ ، وقُتِلَ معظمُ من كان معه ، وظهر الحقُ ، وزهقَ الباطلُ ، وإن كان للباطلِ جولةٌ فإنها لن تدومَ ، ولن يكتبَ لها النجاحُ ، وإن ظهر الباطلُ يوماً فإن هذا لن يغيِّر من حقيقةِ الأمرِ شيئاً ، وإن خفي

الأمرُ في الدنيا على العبادِ ، فإنه لن يخفى يومَ القيامةِ على رب العبادِ الذي يقولُ في كتابهِ العزيزِ : (ونضعُ الموازينَ القسطَ ليومِ القيامةِ فلا تُظلمُ نفسٌ شيئاً وإن كان مثقالَ حبةٍ من خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين) [1].

فالحقُ يبقى حقاً وهو الاقوى دائماً ، والباطلُ يبقى باطلاً وهو الضعيفُ أبداً مصداقاً لقولِ الحقِ تبارك وتعالى : (وقل جاء الحقُ وزهقَ الباطلُ إن الباطلَ كان زهوقاً) [2].

فلما رأى أصحاب طُليحة أنه قد فرّ هارباً تبينوا كذبَهُ ، وعلموا أنه يدعو إلى ضلالةٍ ، وأن دعوتَهُ قائمةٌ على الدجلِ والباطلِ ، ومن كان كذلك كان جباناً ، ليس أهلاً للثقةِ ، ولا جديراً بالأمانة ، بل إنه ضعيفٌ مهزوزٌ لا يستقيم على حالٍ ، ولا يثبتُ على أمرٍ ، فهو من الذين قال اللهُ عزَّ وجلَّ فيهم:(ومِنَ الناسِ مَنْ يعبدُ اللهَ على حرفٍ فإن أصابَهُ خيرٌ اطمأنَّ به وإن أصابَتْهُ فتنةٌ انقلبَ على وجههِ خسِرَ الدنيا والآخرةَ ذلك هو الخسرانُ المبينُ . يدعو من دونِ اللهِ ما لا

---

[1] الآية ٤٧ من سورة الأنبياء .

[2] الآية ٨١ من سورة الإسراء .

يضرُّه وما لا ينفعه ذلك هو الضلالُ البعيدُ . يدعو لَمَنْ ضَرُّهُ أقربُ من نفعهِ لبئسَ المولى ولبئسَ العشيرُ)[1] صدق الله العظيم.

فلما هرب طُليحةُ ورآه قومُهُ أحسّوا بخطئِهم ، وعلموا أنهم تابعوه على الباطلِ ، فأقبل بعضُهم على بعضٍ يتلاومون وقالوا : ندخلُ فيما خرجنا منه[2] ، ونؤمنُ باللهِ ورسولِهِ ، ونسلمُ لحكمِهِ في أموالِنا وأنفسنا .

وهذا هو الرأيُ الصائبُ ، فلا خيارَ لهم غيرُهُ ليأمنوا على أموالِهم وأنفسِهم ، وليطمئنوا على دينِهم وخاتمةِ أمرهم في الدنيا والآخرةِ ، فذهبوا إلى الخليفةِ الصديق ﷺ يعتذرون إليه ، ويقدمون له الولاءَ والطاعةَ ، ويظهرون أسفَهم وندَمهم على ما بَدَر منهم ، ويعرضون عليه الصلحَ. فخيَّرهُمُ الصديقُ ﷺ بين حرب مجليةٍ ، أو خطةٍ مخزيةٍ ، فقالوا : ياخليفةَ رسولِ الله، أما الحربُ المجليةُ فقد عرفناها ، فما الخطةُ المخزيةُ ...؟ قال :

---

[1] الآيات ١١ _ ١٣ من سورة الحج .

[2] يقصدون الإسلام .

تؤخذُ منكم الحَلَقَةُ [1] والكراعُ وتتركون أقواماً يتبعون أذنابَ الإبلِ حتى يُريَ اللهُ خليفةَ نبيه والمؤمنين أمراً يعذرونكم به ، وتؤدون ماأصبتم مِنّا ، ولا نؤدّي ما أصَبْنا منكم ، وتشهدون أن قتلانا في الجنةِ ، وأن قتلاكم في النار ، وتدون[2] قتلانا ولا نَدي قتلاكم .

فقال عمرُ ﷺ : أما قولُكَ تدون قتلانا ، فإن قتلانا قُتِلوا على أمرِ اللهِ لا دياتِ لهم ، وفي الحلقةِ والكراعِ ، نعمَ ما رأيتَ.

مصيرُ طُليحةَ ومَن تابعهُ :

ومن لم يرجعْ إلى الصديق وبقي على ردّتهِ وعناده ، أخذ المسلمون يلاحقونهم من مكانٍ لآخرَ ، فمنهم مَنْ أحرقوه بالنارِ ، ومنهم من رضخوه بالحجارة ومنهم من رمَوا به من شواهق الجبال ومنهم مَنْ هرب ، حتى تفرقوا في البلادِ لا يلوون على شيءٍ .

---

[1] الحلقة : السلاحَ كله ، والكراع هنا الخيل والإبل .

[2] تدون : تدفعون ديات قتلى المسلمين .

وأما عيينة بنُ حِصْنٍ فقد وقع أسيراً في أيدي المســـلمين ، فبعث به القائدُ خالدٌ إلى المدينةِ مجموعةً يداه إلى عنقِهِ ، وجعـل الصبيانُ يرمونه بالحجارةِ ويقولون له : أي عدوَّ اللهِ ، ارتَـدَدْتَ عنِ الإسلامِ ... ؟

فيقولُ : واللهِ ماكنتُ آمنتُ قطُّ .

فلما انتهى إلى الخليفةِ الصديقِ وقف بين يديه ذليلاً صاغراً ينتظرُ المصيرَ المرتقبَ ، وقد طأطأ رأسَهُ إلى الأرضِ ولم ينظرْ في وجهِ أبي بكرٍ خجلاً واستحياءً مما صنع .

فتقدم منه أبوبكر وجعل يعرضُ عليه التوبةَ والعـــودةَ إلى الإسلامِ ، وفي ذلك سلامتُهُ وحقن دمِهِ ، وخيرٌ لـــه في دنيـــاه وآخرتِهِ .

فوافق على ذلك ، وأعلن توبتهُ ، ورجع إلى الإسلام تائبـــاً نادماً وكذلك فعل جميعُ الأسرى الذين كانوا معه .

وأما طُليحةُ فقد أعلن توبتَهُ ، وأظهر ندمه ، ورجـــع إلى الإسلامِ ، فذهب إلى مكةَ لأداءِ العمرةِ ، واستحيا أن يقـــابلَ

أبا بكرٍ ، فلم يرجعْ إلى المدينةِ فالتحق بجيشِ خالدٍ يقاتلُ تحت رايتِهِ وهو جنديٌ من جنودِهِ .

فكتب خالدٌ إلى أبي بكر يخبُرُهُ بذلك .

فردَّ عليه أبو بكرٍ قائلاً : أن اقبلْهُ مسلماً تائباً ، واستشِرْهُ في الحربِ ، ولا تؤمّرْهُ .

ومعنى هذا أن يعاملَهُ خالدٌ بنقيضِ ما كان قصدُهُ من الرئاسةِ والزعامةِ ، وهذا من فقهِ أبي بكرٍ ﷺ ، ورأيه الصائبِ ، وفكرِه الثاقب.

ولم يظلمْ أبو بكرٍ طُليحةَ ، ولكنَّ طُليحةَ هو الذي ظلم نفسَهُ وجنى عليها ، (وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسَهم يظلمون) .

وظلَّ طُليحةُ مسلماً تائباً صادقاً في إسلامِهِ ، مخلصاً في توبتِهِ ، ومجاهداً في سبيل الله طيلةَ حياتِهِ ، حتى شَهِدَ فتحَ نهاوندَ كما سنذكرُ ذلك في حينِهِ إن شاء الله تعالى .

نموذج من خرافات طُليحةَ

لقد أعزَّ اللهُ دينَهُ ، ونصرَ جندَهُ ، وهزَمَ الباطل وأهلـــه ، وخذَلَ الشيطان وأعوانَهُ ، وعَلتْ كلمةُ الله ، وارتفعتْ رايةُ الإسلامِ ، وعادت تلاوةُ آياتِ القرآن في ديارِ غطفانَ وفزارة، وغسانَ وأسدٍ وبني سعدٍ وغيرِها من القبـــائلِ المرتـــدةِ عـــنِ الإسلامِ ، وقد رجعوا إليه تائبين نادمين بعد أن ظـــهر لهـــمُ الحقُ جلياً واضحاً لا غبَشَ فيه ولا غشاوةَ ، ومـــن هـــؤلاءِ التائبين نسمع هذا الحوارَ الذي دار بينَهُ وبين القائدِ خالدٍ ﷺ.

يروى أن خالداً ﷺ قال لبعضِ أصحاب طُليحةَ ممـــن تـــابَ وحَسُنَ إسلامُهُ : أخبرْنا عما كان يقولُ لكم طُليحـــةُ مـــن الوحي ....؟

فقال بعد تردد واعتذارٍ طويلين : إنه كان يقولُ :الحمـــامُ واليمامُ ، والصُّرَدُ [1] والصُّوام قد صُمْنَ قبلكم بأعوام . ليبلُغَـنَّ

[1] الصُّرَدُ : نوع من الغربان ، والانثى صُرَدَةٌ ، والصوام : جمع صائم .

ملكنا العراق والشامَ .. إلى غير ذلك من التفاهاتِ والخرافاتِ ، والهذيانات السمجةِ .

مطاردةُ المرتدين :

انتهى أمرُ طليحةَ ومَنْ تابَعَهُ على الباطلِ ، وقُضِيَ على حركتهِ الانفصاليةِ ، ودعوتِهِ الفاسدة ، ليجيء الأمرُ من الخليفةِ أبي بكر إلى خالدٍ يقولُ له :

ليزِدْكَ ماأنعم اللهُ به خيراً ، واتقِ اللهَ في أمرِكَ ، فإن اللهَ مع الذين اتَّقوا والذين هم محسنون .

جُدَّ في أمرِكَ ولا تلِنْ ، ولا تظفرْ بأحدٍ ومن المشركين قتلَ من المسلمين إلا نكلتْ به ، ومن أخذتَ ممن حادَّ اللهَ ورسولهُأوضادّه ممن يرى أن في ذلك صلاحاً فاقتلْهُ .

وما إنْ وَصَل خالداً كتابُ الخليفةِ الصديقِ حتى انتفضَ من مكانهِ كانتفاضِ الأسدِ في عرينهِ، ثم أصدرَ أوامرهُ لفرسانهِ الذين قبضوا على سيوفهم ، وأخرجوها من أغمادها بعد أن تعاهدوا على أن لا يعيدوها حتى يقضوا على آخرِ رجل من المرتدين ، وينتهوا من أمرِ الفتنةِ الهوجاء ، وانطلقوا

يطاردون فلولَ المرتدين ، وينزلون بهمُ البأسَ والغضب انتقاماً لله ورسولهِ ، وثاراً لقتلى المسلمين حتى أذاقوهم مُرَّ الخوف والذلِ والهوانِ ، ومزقوهم شرَّ ممزقٍ ، ومَنْ ألقى سلاحَهُ واستسلمَ وكفَّ عنِ القتالِ ، ورجعَ إلى الإسلامِ نجا بنفسهِ وأهلِهِ ، ومَنْ أصرَّ على كفرِهِ وردّتِهِ قُتِلَ ، أو هرب وضلَّ في الأرضِ ،ومضى على غير هدى طريداً شريداً ليصبحَ عبرةً لغيرِه من الكفرةِ والمرتدين جزاءً بما كسبَتْ أيديهم وماظلمهمُ اللهُ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، وهذه سنةُ الله في الذين كفروا لن تتبدّل ، ولن تتغيَّرَ ، ولن تجد لسنةِ الله تحويلاً ، قال تعالى : (فكلاً أخذنا بذنبِهِ فمنهم مَنْ أرسلنا عليه حاصباً ومنهم مَنْ أخذتهُ الصيحةُ ومنهم مَنْ خسفنا به الارضَ ومنهم مَنْ أغرقنا وما كان اللهُ ليظلمهم ولكنْ كانوا أنفسهمْ يظلمون)[1] .

وقال اللهُ تعالى عن أهلِ سبأٍ :

[1] الآية ٤٠ من سورة العنكبوت .

(وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديثَ ومزَّقناهم كلَّ مُمَزّق إن في ذلك لآياتٍ لكلِ صبّارٍ شكور)[1].

ومن أصرَّ على كفرِه وردّتِهِ لجأ إلى أمِ زَملٍ : وهي سلمى بنتُ مالكِ بنِ حذيفةَ كانت من سيدات العربِ ، وكانت أمُّها امرأةً ذات شخصيةٍ قويةٍ ، ومكانةٍ مرموقةٍ بين العرب، ومضرِبَ المثلِ في النسب والشرفِ لكثرة مالها وأولادها وعزةِ قبيلتِها وبيتها .

ولهذا لجأ إليها الفارّون من المرتدين من أسدٍ وغطفان وغيرِهما .

فقبلتْهم أمُ زملٍ وعبأتْهم لقتال خالدٍ ، وانضمَّ إليهم آخرون من بني سُليم وطيٍء وهوازنَ ومنْ فرَّ يومَ وقعةِ بُزاخةَ ،فشكلوا بذلك جيشاً قوياً انتشرَ خبرُهُ بين قبائلِ العربِ، واستفحل أمرُ أمِ زملٍ حتى بلغ خالداً الذي سار إليها بجيشه فالتقى معها ودار بينهما قتال شديد وعنيف وكانت أم زمل تشرف بنفسِها على القتالِ ، وتوجّهُ الفرسانَ ، وهي

---

[1] الآية ١٩ من سورة سبأ ..

راكبةٌ على جملِ أمِها الذي يقال عنه : مَنْ يمسُّ جملها فله مائةٌ من الإبلِ ، وذلك لعزِها ومنعتها وكثرةِ الفرسان الذين يحمونها وقوتِهم ، ولكنَّ ذلك لم يكنْ ليعجزَ خالداً الذي عرف ذلك عنها فحمل على فرسانِها فقتلهم ،وعقرجملها وقتلها،فلما رأى فرسانُها ومَنْ لجأ إليها من المرتدين مقتلها غادروا أرضَ المعركةِ وجَدُّوا في الهربِ ، وانتهى أمرُ أمِ زَملٍ ، وقضي على دعوتها وتجمُّعها، وبعث خالدٌ بنصرِ اللهِ وفتحِهِ إلى الخليفةِ أبي بكرٍ ، وتناقلَتِ العربُ أخبارَه وأنباءَ انتصاراتِهِ الكثيرةِ المتلاحقةِ ، فوقع الخوفُ في قلوبهم فلا يزالون يهابونه ويخشون لقاءه .

وهذا شأنُ المؤمنِ المخلصِ الصادق الذي يخشى الله ، ومَنْ خشيَ اللهَ خشيه كل شيء، وهابهُ الناسُ، وخافوا لقاءهُ وحسبوا له ألف حساب .

ومَنْ يصدقِ اللهَ يصدقْهُ ويتولّ أمرَهُ ، ويدفع عنه كيدَ المعتدين ، وتآمرَ المتآمرين ،ويحمه من شرِ الأشرارِ وحسدِ

الحُساد المبغضين ،(ومَنْ أوفى بما عاهدَ عليْهُ اللهَ فسيؤتيه أجـراً عظيماً)[1] .

وإذا العنايةُ لاحظتْكَ عيونهـا نَمْ فالمخـاوفُ كُلُّهنَّ أمـانُ

والله تعالى يقولُ لكلِ منْ يؤمنُ به ويتوكلُ عليه بصدقٍ وإخلاصِ نيةٍ :

(واصبرْ لحكم ربِك فإنك بأعيننا وسبح بحمدِ ربكِ حين تقومُ)[2] .

أي بحفظنا ورعايتنا ، نحميك ونحفظُك ، وندفعُ عنك كلَّ شرٍ وبلاءٍ .

وحين أمرَ اللهُ تعالى موسى أن يذهبَ مع أخيه هارونَ إلى فرعونَ قال : (اذهبْ أنتَ وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري . اذهبا إلى فرعون إنه طغى . فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكرُ أو يخشى . قالا ربَنا إننا نخافُ أن يفرُط علينا أو أن يطغى .

---

[1] الآية ١٠ من سورة الفتح .

[2] الآية ٤٨ من سورة الطور .

قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى)[1] فنصر الله عز وجل وتأييدُه لعباده المؤمنين أمرٌ محتمٌ في كلِ زمانٍ ومكانٍ لأنه صادرٌ عن أصدقِ القائلين سبحانه وتعالى الذي يقولُ : (إنا لننصُرُ رُسُلَنا والذين آمنوا في الحياةِ الدنيا ويومَ يقومُ الأشهاد)[2].

(ولقد سبقَتْ كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهُمُ المنصورون . وإن جندَنا لهُمُ الغالبون)[3].

سجاحُ وبنو تميمٍ :

اختلفتْ آراء بني تميمٍ أيامَ الردةِ ، فمنهم مَنِ ارتدَّ ومنع الزكاةَ ، ومنهم مَنْ بعث بأموالِ الزكاةِ : إلى الخليفةِ أبي بكرٍ ، ومنهم مَنْ توقف متحيراً لا يدري ماذا يفعلُ .

في هذه الظروفِ والحالةُ كذلك إذ أقبلَتْ إليهم سجاحُ بنتُ الحارثِ بنِ سويد بنِ عقفانَ التغلبيةُ ، وهي من نصارى العرب ، وكانت قدِ ادَّعَتِ النبوةَ أيضاً، وفي ذلك يقولُ

---

[1] الآيات ٤٢ ـــ ٤٦ من سورة طه .

[2] الآية ٥١ من سورة غافر .

[3] الآيات (١٧١ ـــ ١٧٣) من سورة الصافات .

عطاردُ بنُ حاجبٍ وهو سيدٌ من سادات بني تميـــمٍ ، وأحـــدُ رجالِ سجاح المقربين منها المشجعين لدعوتها :

أمستْ نبيتنا أنثى نطيفُ بهـــا وأصبحتْ أنبيـــاءُ اللهِ ذكرانـــا

فلما مرَّتْ سجاحُ ببني تميمٍ عرضَتْ عليـــهم دعوتَهـــا ، ودعتهم إلى التحالفِ معها فاستجابَ لها معظمهم، وعلى رأسِهم مالكُ بنُ نويرةَ ، وعطاردُ بنُ حاجب ، وكثيرٌ من ساداتِ بني تميم ، وتخلَّفَ آخرون منهم عنِ التعاون معـــها ثم اصطلحـــوا جميعاً على عدمِ الحربِ بينهم ، ثم اتفقوا على قتالِ المسلمين، وقالت لهم سجاح فيما تسجعُه : أعدّوا الركابْ ، واستعِدّوا للنهابْ ، ثم أغيروا على الربابْ ، فليس دونهم حجابٌ .

فاستجاب القومُ لها ، واتفقوا على نصرها والقتالِ معـــها ، وأعطوها على ذلك العهدَ والميثاقَ .

ثم قصَدت معُهم اليمامةَ لتحاربَ مُسيلمةَ بـــنَ حبيـــب الكذابَ وتأخذَ منه اليمامةَ ، ولكنّ قومَها تقاعسوا عن ذلـك حين سمعوا بشدةِ مُسيلمةِ وقوةِ باسِهِ ، وقدِ استفحل أمـــرُهُ ،

وعظُمَ خطرُهُ ، فهابوه وخافوا لقاءَهُ، فقالت لهم كعادتِها في السجع : عليكم باليمامةْ ، دُفُّوا دفيفَ الحمامةْ ، فإنها غزوةٌ صَرَّامةْ لا تلحَقُكم بعدها ملامةْ.

فتشجع القومُ ، وتحمسوا واستعدّوا للقتالِ ، ومن جهةٍ أخرى لم يكدْ مُسيلمة يسمعُ بمقدَمِها لحربهِ حتى خاف منها، فبعث إليها يعرضُ عليها الصلحَ ، ويضمنُ لها أن يعطيها نصفَ الارضِ الذي كان لقريشٍ فيما كان يزعم لو أنها عَدَلَتْ.

سجاحُ ومسيلمةُ الكذابُ :

ثم راسل مُسيلمةُ سجاح وطلبَ منها أن يجتمعا ومع كلِ واحدٍ منهما طائفةٌ من قومِهِ .

فوافقتْ سجاحُ على ذلك وكان اللقاءُ بينهما في خيمةٍ كان مُسيلمةُ قد أعدَّها لذلك ، فعرض عليها نصفَ الأرضِ، فقبلَتْ منه ذلك ، وكلُ واحدٍ منهما يعلمُ أنَّ الآخرَ كذابٌ والكذاب من شأنهِ الجبنُ والخوفُ ، وعدمُ الثقةِ بالآخرِ ، لذلك خشيَ كلٌّ منهما صاحبَهُ بادىءَ الامرِ ثم

اصطلحا على الكذبِ والغشِ ، والدجلِ والاحتيالِ ، وقــــال كلٌّ منهما للآخرِ كلاماً فيه الكذبُ والاضطــرابُ ، وعــدمُ الأمنِ والثقةِ والاتزانِ ، ومن ذلك قولُ مُسيلمِةَ : سمِعَ اللهُ لمــن سمعْ ، وأطمَعَهُ بالخيرِ إذا طمعْ ، ولا يزالُ أمرُهُ في كــلِ مــا يسُرّ مجتمعْ .

رآكم ربُكم فحياكم ، ومن وحشتهِ أخلاكم ، ويــومَ دينه أنجاكم فأحياكم . علينا من صلواتِ معشر أبرارْ لا أشقياءَ ولا فُجّار ، يقومون الليل ، ويصومون النهارْ ، لربكُمُ الكبّارْ ، ربِ الغيوم والأمطارْ .

وقال أيضاً :

لّما رأيتُ وجوهَهمْ حَسُنَتْ ، وأبشــــارَهم صفــتْ ، وأيديَهم طَفَلَتْ ، فقلتُ لهم : لا النساءَ تأتون ، ولا الخمــر تشربون ، ولكنكم معشر أبرار تصومون ، فســبحان اللهِ إذا جاءتِ الحياةُ كيفَ تحيون ، وإلى مَلَكِ السماءِ كيف ترقون ، فلو أنها حبة خردلةٍ لقام عليها شهيدٌ يعلمُ مافي الصــدورِ ،

ولأكثرُ الناسِ في الثبورِ ... إلى غير ذلـــك مـــن الأكـــاذيبِ والتفاهات .

ويُحكى أن مسيلمةَ لما خلا بسجاحٍ سألها ماذا يوحـــى إليها ..؟ وهو يعلمُ أنها لم يوحَ إليها شيءٌ ، كما أنه لم يُـــوحَ إليه شيءٌ أيضاً ، وأنها كذابةٌ مفتريةٌ مثلهُ .

فقالت : وهل يكونُ النساءُ يبتدِئنَ ...؟ بل أنتَ ماذا أوحيَ إليك ...؟

فقال : ألم ترَ إلى ربكَ كيف فعل بالحُبلى أخرج منها نسمةً تسعى ، من بينِ صفاقٍ وحشا .

قالت : وماذا ...؟

قال : إنَّ اللهَ خلق للنساء أفراجاً ، وجعل الرجالَ لهـــــنَّ أزواجاً ، فنولجُ فيهنَّ قعساً إيلاجاً ، ثم نخرجُـــها إذا نشـــاءُ إخراجاً ، فينتجن لنا سخالاً إنتاجاً .

فقالَتْ : أشهدُ إنك لنبي.

فقال لها : هل لكِ أن أتزوجَكِ وآكلَ بقومـــي وقومِـــكِ العربَ ...؟

قالتْ : نعم .

ثم اتفقا على الزواجِ ، فأقامَتْ عنده ثلاثةَ أيامٍ ثم رجَعَتْ إلى قومِها ، فقالوا لها : ما أصدَقكِ [1] .

فقالت : لم يصدُقني شيئاً .

فقالوا : إنه قبيحٌ على مثلِكِ أن تتزوجَ بغير صداقٍ

فبعثت إليه تساله صداقاً .

فقال لها : أرسِلي إليَّ مؤذنَكِ .

فبعَثَتْهُ إليه ، فقال له : نادِ في قومِكَ أن مُسيلمةَ بنَ حبيبٍ رسولَ الله قد وضع عنكم صلاتين مِمّا أتاكم به محمدٌ ، وهما صلاةُ الفجرِ ، وصلاةُ العشاء، وهاتان الصلاتان أثقلُ الصلواتِ على المنافقين ، لذلك اختارهما مُسيلمةُ فأسقطهما ، وذلك دليلٌ على كذبهِ ونفاقِهِ .

فوافقَتْ هي وقومُها على هذا الصَّداقِ ، ورجعَتْ إلى بلادها، وذلك حين بلغها مسيرُ خالدٍ ﷺ إلى اليمامةِ لقتالِ مُسيلمةَ ... كما سيأتي بيانُهُ في موضِعِهِ إن شاء اللهُ تعالى .

---

[1] الصداق : المهر ، وصداق المرأة مهرها ، أي ما الذي جعله لك صداقاً ...؟

خالدٌ ومالكُ بنُ نويرة

لما فرغ خالدٌ ﷺ من أمرِ طُليحةَ الأسدي ، وقضى على حركتِهِ وأنصارِهِ وفرضَ عليهم العودةَ إلى الإسلامِ بعد أن قتلَ مَنْ قتَلَ ، وأسرَ مِنْ أسرَ ، توجَّهَ فوراً إلى بني يربوع وعليهم مالكُ بنُ نويرةَ اليربوعيُّ التميميُّ الذي كان قد صانَعَ سجاح ، واتفق معها على قتالِ خالدٍ من جهةٍ ، وقتال مُسيلمةَ من جهةٍ أخرى فلما اتصَلَتْ سجاحُ بمُسيلمِةَ الكذابِ وتزوجَتْهُ اعتبر مالكُ بنُ نويرةَ هذا العملَ نقضاً لاتفاقِهِ معها على قتالِ مسيلمِةَ ، كما أن القبائلَ المتحالفةَ معها نقموا عليها لخيانتها لهم ، ولعملِها لمصلحتِها الخاصةِ ، خاصةً وقد قبضَتْ من مُسيلمِةَ نصفَ خراجِ أرضِهِ ، ثم رحَلَتْ إلى بلادها .

لذلك ندِمَ مالك بنُ نويرةَ على ما فعل من مصانعتها ، وجعل يلومُ نفسهُ على اتفاقِهِ معها ، وكان قد نزل بمكان يقالُ له (البطاح) فتوجه إليه خالدٌ بجنودِهِ وتخلَّفَتْ عنه

الأنصارُ وقالوا : إنا قد قضينا ما أمَرَنا به الصديـــقُ ، ولــن نذهبَ إلى مكانٍ إلا بأمرِه .

فقال لهم خالدٌ ﷺ : إن هذا أمرٌ لا بدَ من فعلِهِ ، وفرصةٌ لا بُدَّ منِ انتهازِها ، وإنه لم يأتني فيها كتابٌ ، وأنا الأميرُ وإليَّ تردُ الأخبارُ ، ولستُ بالذي أُجبركم على المسيرِ ، وأنا قاصدٌ البطاحَ ، وشدَّ على زمامِ فرسِهِ ثم أرسلهُ وانطلق من مكانـــهِ وقال لهم : مَنْ شاء تبعني ومن شاء رجع وليس عليه مِنَ الامرِ شيء .

فتبعوه جميعاً و لم يتخلّفْ منهم أحد حتى وصلـــوا معــه البطاحَ حيثُ مالكُ بنُ نويرةَ معسكرٌ هناك . فجاء أمراءُ بـــني تميم إلى خالدٍ يستقبلونه مرحبين، يقدمون إليه الولاء والطاعــةَ، ويؤدّون إليه زكاةَ أموالِهم ، إلا ما كان من مالكِ بنِ نويـــرةَ الذي بقي متحيراً في أمرِه ، متنحياً عنِ الناسِ يصدُّهمَ عــنِ السبيلِ ، ويمنعهم من أداءِ الزكاةِ ، فـــانقضَّ عليــه جنــودُ المسلمين فاسروه وجنودَه وقادوهم إلى القائدِ خالدٍ الذي أخذ يؤنبهم ويلومهم على الخروج عن طاعةِ الخليفةِ أبي بكـــرٍ ،

ومناصبةِ الحربِ للمسلمين ومنعهم من أداء الزكاةِ ، والتفريقِ بينها وبين الصلاة .

واختلف أفرادُ سرية خالدٍ فيهم ، فقال أبو قتادة الحارث ابنُ ربعي الأنصاري : إنهم أقاموا الصلاة .

وقال آخرون : إنهم لم يؤذنوا ، ولم يصلّوا ، وما سمعوا لهم أذاناً ، ومارأوا منهم صلاةً .

وباتَ الأسارى في كبولهم ، وكانتِ الليلةُ شديدةَ البرودة، فنادى بعضُ الجنودِ :أيها المسلمون ، أدفِئوا أسراكم ، فظنَّ القومُ أنه يريدُ القتلَ ، فقتلوهم جميعاً ، وقتل ضرارُ بنُ الأزورِ مالك بنَ نويرةَ ، واصطفى خالدٌ لنفسهِ امرأةَ مالكٍ وكانت جميلةً ، يقالُ لها أم تميم ابنةُ المنهالِ ، فلما انقضتْ عدتُها دخل بها، وليس كما يقولُ البعضُ إنه دخل بها فوراً وقبل انقضاءِ عدتها ، فهذا كلام باطلٌ لا يُعَوّلُ عليه ، وليس له أساسٌ من الصحةِ ، ولا مُستندٌ يوثقُ به ، بل هو كلامٌ أطلقَهُ البعضُ للإساءةِ لسيفِ اللهِ والتشهيرِ به .

ويروى أن خالداً دعا مالك بنَ نويرةَ وأنّبهُ على ما صـــدرَ منه من مصانعةِ سجاحٍ ومتابعتها على بدعتِـــها وضلالهـــا ، وعلى منعِهِ الزكاةَ ، والوقوفِ في وجهِ مَنْ أرادَ أداءها ومنعِـــهِ من الذهابِ إلى الخليفةِ أبي بكرٍ ، وقال له وهو يوبّخـــهُ : ألم تعلمْ أن الزكاةَ قرينةُ الصلاةِ ... ؟

فقال مالكٌ :إن صاحبكم كان يزعمُ ذلك .

فقال خالد : أهو صاحبنا وليس بصاحبكَ ...!!

ثم دعا ضرارَ بن الأزورِ وقال له : ياضرارُ اضرب عنقَـهُ ، فضربها ثم تزوجَ امرأتَهُ بعد أن قضتْ عدتَّها .

فاحتجَّ عليه أبو قتادةَ الحارث بنُ ربعـــي ، وخاصمـــه في ذلك ، فتقاولا حتى علَتْ أصواتُهما ، وكاد الشرُّ يقعُ بينـهما ، وكان لكلٍ من خالدٍ والحارث رأْيُهُ ودليلهُ ، فدليلُ أبي قتـــادةَ أن قومَ مالكٍ أقاموا الصلاةَ ، وهذا يعني أنهم بـــاقون علـــى إسلامِهم غيرُ كفارٍ ولا مرتدين ، وعلى هذا فهم معصومـــو الدمِ لا يجوزُ قتلهم ، لقولِ النبي ﷺ : (لا يحلُّ دمُ امـرىء مسلمٍ إلا بإحدى ثلاثٍ : النفسُ بالنفسِ ، والثيبُ الـزاني ،

والتاركُ لدينهِ المفارقُ للجماعةِ)[1] ودليلُ خالدٍ مبنيٌّ على شهادةِ مَنْ لم يسمعْ أذاناً ، ولم يرَ منهم صلاةً ، وبناءً على هذا فهم مرتدّون ، مارقون من الدينِ ، تاركون للصلاةِ ، وتاركُ الصلاةِ عمداً بلا عذرٍ شرعي كافرٌ يقتلُ بكفرِه ، فإن ناصبَ المسلمين القتال وكان له جيشٌ وشوكةٌ قوتلَ قتال الكافرين ، قال اللهُ تعالى : (فإن تابوا وأقاموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ فإخوانُكُمْ في الدينِ ونفصّلُ الآياتِ لقومٍ يعلمون . وإنْ نكثوا أيْمانَهم من بعدِ عهدِهم وطعنوا في دينكِم فقاتلوا أئمةَ الكفرِ إنهم لا أيْمانَ لهم لعلَّهم ينتهون)[2].

والذي يشفعُ لخالدٍ ويبرِّئه من دمِ الأسرى التباسُ الأمرِ حين اضطربَتْ شهادةُ المسلمين من جهةٍ ، وشهادةُ أبي قتادةَ من جهةٍ أخرى ، وكذلك حين سمع القومُ مناديَ المسلمين ينادي : أدفئوا أسراكم ، فظنوا أنه يريدُ القتلَ لا سيما أن الحالةُ حالةُ حرب حيثُ يغتفرُ فيها الخطأُ ، وقد سبق لخالدٍ رضي الله عنه أن التبسَ عليه الأمرُ حين بعثَهُ النبيُّ ﷺ إلى بني جُذيمةَ فقتل

---

[1] متفق عليه .

[2] الآيتان ١١ ــ ١٢ من سورة التوبة .

الأسرى الذين قالوا حين رأوا خيولَ خالدٍ صبأْنا ... صبأْنـــا ولم يحسنوا أن يقولوا : أسلمْنا كما سيأتي إن شـــاء الله تعالى .

شكوى مُتمم بنِ نويرة عند أبي بكرٍ الصديقِ :

بعد خلاف أبي قتادةَ مع خالدٍ رضي الله عنهما ، ذهـــب أبو قتادةَ إلى المدينة ليشكو خالداً إلى الخليفةِ أبي بكرٍ فقـــصَّ عليه خبرَ خالدٍ وما فعل بمالكِ بن نويرة وقومِهِ، وكان عنـــده عمرُ ﷺ لا يغادرُ مجلسَه أبداً ، فلم يكدْ عمرُ يسمعُ شـــهادةَ أبي قتادةَ في خالدٍ حتى قام وقال لأبي بكرٍ : اعزلْهُ ياخليفـــةَ رسولِ الله ﷺ ، فإن في سيفِهِ رهقاً ، يريدُ أن فيه تسرعاً وطيشاً قد ينعكسان سلبياً على سلامةِ المقاتلين المسلمين .

فقال أبو بكرٍ : لا أشيمُ [1] سيفاً سلَّه اللهُ علـــى الكفـــارِ والمنافقين .

وفي هذه اللحظاتِ والنقاشُ محتدمٌ بين عملاقي الإسلام أبي بكرٍ وعمرَ رضي اللهُ عنهما إذَ قدِمَ مُتممُ بنُ نويرةَ أخو مـــالكٍ

---

[1] لا أشيم : لا أغمد .

وقد قطع المفاوز البعيدةَ وهو حزينٌ على مقتلِ أخيه مـــالكٍ ، لا يمرُّ بقبر إلا ويعتقدُ أنه قبرُ مالكٍ ، حتى انتهى إلى أبي بكــرٍ فاستأذن بالدخولِ عليه ، فأذن له ، فدخل عليه وجعل يشكو إليه ما صنع خالدٌ بأخيه وقومِهِ ، وذكر أمامه أبياتاً رقيقةً تثــيرُ المشاعرَ الإنسانيةَ ، وتبعثُ على الأسى والألم، فقال شـــاكياً ومتوجعاً :

وكنا كندمـــانيْ جُذيمـــةَ بُرهـــةً	من الدهر حتى قيل لـــن يتصدّعـــا
وعشِنا بخيرٍ مـــا حيينـــا وقبلنـــا	أباد المنايا قـــوم كســـرى وتُبَّعـــا
فلمـــا تفرَّقْنـــا كـــأني ومالكـــاً	لطول اجتماعٍ لم نبتْ ليلـــةً معـــا

وقال يُبثُ آلامَهُ ، ويصفُ أحزانه ومُصابَهُ :

لقد لامني عند العبور على البكـــى	رفيقي لتذراف الدموع الســـوافكِ
وقال أتبكي كلَّ قـــبرٍ رأيتـــهُ	لقبر ثوى بين اللوى فالدكـــادكِ[1]
فقلتُ له إن الأسى يبعثُ الأسى	فدعني فـــهذا كلـــهُ قـــبرُ مـــالكِ

---

[1] ثوى : أقام ، والمراد هنا القبر ، واللوى : مادَقّ من الرملِ ، والدكادك : الرمل اللين .

فرَقّ له الصديقُ ، وتألّم عليه ، وأدّى له دية أخيه مالكٍ من مالهِ الخاصِ.

ولم يزلْ عمرُ مُصِرّاً على رأيهِ بشانِ خالدٍ ، ويحرضُ الخليفةَ أبا بكرٍ ويحثه على عزلِهِ عنِ الإمارةِ ويقولُ له : اعزلْهُ، فإن في سيفِهِ لرهقاً ، حتى بعث الصديقُ يستدعي خالداً إلى المدينة .

فقدِمَ عليه وقدْ لبس درعَهُ التي تراكم عليها الصدأُ من كثرةِ الدماءِ ، وغرزَ في عمامتِهِ السهامَ المضَمَّخةَ بدماءِ القتلى.

فلما دخل المسجدَ تلقّاه عمرُ فانتزعَ السهامَ من عمامتِهِ فكسرها وقال له : أرياءً قتلت امرأً مسلماً ثم نزوتَ على امرأتِهِ ... واللهِ لأرجُمَنَّكَ بالجنادلِ [1] .

كل هذا وخالدٌ ساكتٌ لا يتكلمُ لكنه خشيَ أن يكون أبو بكرٍ قد تأثر براي عمرَ ومال إليه ، فدنا منه ، وأخذ يعتذر إليه ويسترضيهِ ويستعطفُهُ حتى عفا عنه وقبل اعتذارهُ ، وتجاوزَ عنه ما وقع منه من خطأٍ في الاجتهادِ ، وأدّى ديةَ مالكِ بنِ

---

[1] الجنادل : الحجارة .

نويرةَ لأخيه متمم ليدلَّ على رضاه عن خالدٍ وقبولِهِ اعتذارَهُ ، وتثبّتهُ على إمارةِ الجيشِ .

هذا ... وقد فعل الصديقُ ﷺ فِعْلَ رسولِ الله ﷺ من قبلُ حينَ بعثَ خالداً إلى بني جذيمةَ الذين قالوا : صبأْنا ... صبأْنا ، وهم يريدون أن يقولوا : أسلمنا ، فقتلهم خالد ، فلما بلغ خبرُهم النبي ﷺ قال : اللهم إني أبرأ إليك ممّا صنعَ خالدٌ ، وأدّى إلى بني جذيمةَ ديات القتلى ، ومع هذا لم يعزلْ خالداً عن إمرةِ الجيشِ ، وكذلك فعلَ أبو بكر الصديقُ ﷺ ، وليس هذا رأياً رآهُ ، أواجتهاداً اجتهدَهُ ، وإنما تبع فيه رسول الله ﷺ ... والله أعلم .

معركةُ اليمـامةِ

مدخل إلى فتنة مسيلمة الكذاب :

ومن المرتدين عنِ الإسلامِ بنو حنيفةَ ، وعلـــى رأسـهم مُسيلمةُ بنُ حبيبٍ الكذابُ الذي ادّعى النبـوةَ في عهـــدِ النبي ﷺ، وكتب إليه يقولُ :

مِنْ مُسيلمةَ رسولِ الله إلى محمدٍ رسول الله ، أما بعد :

فإن الأرضَ نصفُها لي ، ونصفُها لك ولكنَّ قريشاً قـــومٌ يعتدون .

فكتب إليه النبيُّ ﷺ ، من محمدٍ رسول الله ، إلى مُسـيلمةَ الكذاب، أما بعد :

فإن الأرضَ للهِ يورِثُها مَنْ يشاءُ مـن عبـادِهِ والعاقبـةُ للمتقين .

وبعد وفاةِ رسولِ الله ﷺ استفحلَ أمرُ مُسيلمةَ واشـتدَّ خطرُهُ ، فرأى الخليفةُ الصّدّيقُ ﷺ أن يقضيَ عليـه وعلـى أصحابِهِ من أهلِ الردةِ والدجلِ والافتراءِ ، والكذبِ على اللهِ ، وصَدِّ الناسِ عنِ الصراطِ المستقيمِ وأنـه يجـبُ اسـتئصالهم .

والقضاءُ على دعوتِهم الباطلةِ ، وعقيدتِهم الفاسدةِ ، لأنهم أربابُ كفرٍ ، وأئمةُ ضلالٍ ، ودعاةُ شرو فتنةٍ ، فلو تُركوا وشأنهم دون عقابٍ أو استئصالٍ لاستفحل أمرُهم ، وعَمَّ خطرُهم وأصبحوا عاملاً مشجعاً لغيرهم على الارتدادِ عنِ الإسلامِ ، والتمردِ على أحكامِهِ ، والاستهزاءِ بتعاليمِهِ .

ولهذا استعمل أبو بكرٍ الصديقُ ﷺ معَهُم الحزمَ والشدةَ والصرامةَ ، ولم يستعملِ العفو والرحمةَ والتسامحَ إلا مع الذين تابوا منهم ، وثابوا إلى رشدهم ، واعترفوا بخطئهم ، ورجعوا إلى الإسلامِ ، ومَنْ أصَرَّ منهم على كفرِه وعنادِه تَرَكَ أمرَهُ إلى السيفِ .

وكان أبو بكرٍ قد وَجَّهَ إلى كلِ قومٍ من المرتدين جيشاً ، وأمَّرَ عليه قائداً ، فبعث إلى مُسيلمةَ الكذابِ في اليمامةِ عِكْرِمَةَ بنَ أبي جهل ، وشُرحبيلَ بنَ حسنةَ ، فلم يستطيعا الصمود أمامَ جيشِ مُسيلمةَ الذي كان يشكلُ نحواً من أربعين ألفاً من المقاتلين الأشِدّاء ، فكانا يضطران أحياناً إلى الانسحابِ من أرضِ المعركةِ ويرسلان إلى أبي بكر يخبرانه

بأنباءِ المعركةِ ، ويطلبان منه أن يُمِدَّهما بعددٍ من الفرسانِ للقضاءِ على جيشِ المرتدين .

خالدٌ في طريقِهِ إلى اليمامةِ :

ما إن وصل أبا بكرٍ كتابُ عِكْرِمَةَ بنِ أبي جهلٍ وشُرحبيلَ بنِ حسنةَ حتى كتب إلى خالدٍ أن يتوجَّهَ فوراً إلى اليمامةِ لنجدتِهما والقضاءِ على فتنةِ مُسيلمةَ الكذابِ .

ومضى خالدٌ ﷺ يطوي البيداءَ المترامية ، ويقطعُ المفاوزَ البعيدةَ يقودُ جنوداً مُلِئتْ قلوبُهم بالعزة ، وسرَت في نفوسِهم روحُ الإخلاصِ والإيمانِ وكلُّهم أملٌ بنصرِ اللهِ وتأييده لردعِ الظالم ، وإنصافِ المظلومِ ، وإحقاقِ الحقِ ، وإزهاقِ الباطلِ ، والقضاءِ على آخرِ معقلٍ من معاقلِ أهلِ الردةِ والكفرِ .

وانطلقوا لا يمرون بأحدٍ من المرتدين إلا نكلوا به وأنزلوا فيه العقابَ الأليمَ حتى انتهوا إلى جيشِ مسيلمة الذي كان قد كمن في مكان يقال له : (عقرباء) حين سمع بمقدم

جيش المسلمين إليه بقيادةِ سيفِ اللهِ المسلولِ خالدِ بنِ الوليدِ رضي الله عنه .

وكان مُسيلمةُ الكذابُ يعتمدُ على اثنين من أشدّ رجالِهِ شجاعةً ، وأمهرِ فرسانِهِ قيادةً وهما: المحكّمُ بنُ الطُّفيلِ ، والرَّجالُ بنُ عنفوةَ ، وكان الرَّجالُ صديقاً قديماً لمسيلمةَ ، ومفترياً كذاباً على شاكلتِهِ ، وهو الذي شَهِدَ له أمامَ رسولِ الله ﷺ بالنبوةَ كذباً وزوراً وبهتاناً، وشَهِدَ أمامَ قومِهِ أنه سمع رسول الله ﷺ يقولُ بأنه قد أشرك معه مُسيلمةَ بنَ حبيب في النبوةِ ، وقاسَمَهُ نصفَ الأرضِ ، وهو الذي أضَلَّ أهلَ اليمامةِ وأقنعهم بتصديقِ مُسيلمةَ واتّباعِهِ .

وكان قد سبق له أن وفدَ إلى النبي ﷺ وقرأ عليه سورة البقرةِ ، وبعد وفاةِ النبي ﷺ قَدِمَ على أبي بكرٍ الصديقِ وأظهر تَمَسُّكَهُ بالإسلام وثباتَهُ عليه ، وبغضَهُ للمرتدين ، فصَدَّقَهُ أبو بكر ، وبعثه إلى أهلِ اليمامةِ يدعوهم إلى الله تعالى ، ويأمرُهم بالثباتِ على الإسلامِ .

ولكنّ اللعين عمل بعكسِ ما أمرهُ أبو بكر ، فأظهر كفرَهُ وعداوتَهُ للإسلام ، وظاهر مسيلمةَ وشهد له بالنبوةِ ، وأمرَ الناسَ باتّباعِهِ ، وراح يقاتل جيشَ المسلمين .

ولعلَّ النبيَّ ﷺ يقصدُهُ بقولِهِ : (إن فيكم لرجلاً ضرسُهُ في النارِ أعظمُ من أُحُدٍ)[1] .

يقولُ أبو هريرة ﷺ : كنتُ يوماً عند النبي ﷺ في رهطٍ معنا الرَّجّالُ بنُ عُنفوةَ فقال : إن فيكم لرجلاً ضرسُهُ في النارِ أعظمُ من أُحُدٍ ، فهلك القومُ وبقيتُ أنا والرَّجالُ ، وكنتُ متخوفاً لها ،حتى خرج الرجالُ مع مسيلمةَ وشَهِدَ له بالنبوةِ ، فكانت فتنةُ الرَّجال أعظمَ من فتنةِ مُسيلمةَ .

---

[1] يريد جبل أحد ، انظر البداية والنهاية لا بن كثير .

اللقاء الأول

والتقى الجيشان ،جيشُ النورِ والإيمانِ ، وجيـــشُ الكفـــرِ والظلام، وذلك في مكان يقالُ له (عقرباء) وكـــلٌّ فريـــقٍ متحفِّزٌ للآخرِ ، ومتيقظٌ أشدَّ ما يكونُ التيقظُ والحذرُ ، وهمـــا على أهبةِ الاستعدادِ أن ينقضَّ كلٌّ على خصمِهِ ، وقـــد عَبَّـــأَ الفريقان قواهما ، ووزّعا فرساهما فجعل خـــالدٌ ﷺ علـــى مقدمةِ الجيشِ شرحبيلَ بنَ حسنةَ ،وعلى المجَنبتين زيـــدَ بـــنَ الخطابِ وأبا حذيفةَ بنَ عتبةَ ،وفي الليل مرَّ على المقدمـــةِ مُجاعةُ بنُ مرارةَ على رأسِ عددٍ من الفرسان يُقَدَّرُ بنحوٍ من أربعين أو ستين فارساً الذي قَدِمَ لأخذِ ثأرٍ له في بني تميم وبـــني عامرٍ ، فبينما هو راجعٌ إلى قومِهِ بعد تحقيقِ هدفِهِ مَرَّ بمقدمـــةِ جيشِ المسلمين فانقضوا عليه فأسروه ومَنْ معه ، وقـــادوهم إلى القائدِ خالدٍ ، فجعلوا يعتذرون إليه فلم يصدقْهم وأَمرَ بضربِ أعناقِهِم جميعاً سوى مجاعةَ بنِ مرارةَ فقـــدِ اســـتبقاه لعلمِـــهِ بالحرب والمكيدةِ ، وكان سيداً مطاعاً في بني حنيفةَ ، وشـــريفاً

ويروى أن خالداً قال لهم : ماذا تقولون يابني حنيفةَ..؟
قالوا : نقول مِنا نبيّ ومنكم نبيّ ، فقتلهم جميعاً إلا واحـــداً واسمُهُ ساريةُ ، فقال له :أيها الرجلُ ، إن كنتَ تريـــــدُ عـــداً بعدولِ هذا خيراً أو شراً فاستبق هذا الرجلَ يقصدُ مجاعةَ بـــنَ مرارةَ فاستبقاه خالدٌ وتركهُ مقيداً ، وأوصى به خيراً .

الحالة النفسيةُ عند الجيشين :

اصطفَّ الجيشان ، وبدأتْ ساعة الصفرِ ، وجعل كـــلُّ قائدٍ يشجّع فرسانَهُ على القتالِ وعدمِ الهروبِ أمام خصمِهِ .
هذا خالدٌ ﷺ يقفُ أمام فرسانهِ يشجعهم ويحرضُـــهم على القتالِ ويذكرهم بأنها إحدى الحُسنيين : إمـــا النصــرُ ورفعُ لواءِ الإسلامِ عالياً خفاقاً ، وإمّا الشهادةُ في ســبيلِ اللهِ ونيلُ رضوانهِ ، ولا يزالُ خالدٌ يذكرُهم بواجبهم نحو دينـــهم ويلهبُ حماسهم ، ويحركُ مشاعرهم حتى جعل من كل واحـــدٍ منهم جيشاً بكاملِهِ لو وقفَتْ أمامَهُ جبالُ الدنيا لأزالهـــا ، أو بركاناً ثائراً يوشكُ أن يحرقَ ويُبيدَ كلَّ خصومِهِ وأعدائِـــهِ ، وذلك لإيمانهم بعدالةِ قضيتهم، وحقِـــهِم في الدفـــاع عـــن

عقيدتهم ، وإعادةِ عزةِ دينهمِ ، والانتقامِ مِمَّنْ حاولَ أن يلوثها أو يسيءَ إليها ،(يريدون أن يطفئوا نورالله بأفواههمِ ويأبى الله إلا أن يتم نورَهُ ولو كرِه الكافرون .هو الذي أرسل رسولَهُ بالهدى ودينِ الحقِ ليظهره على الدين الدين كلِهِ ولو كرِه المشركون)[1] .

(ولله العزةُ ولرسولهِ وللمؤمنين)[2].

ومِنْ كان مؤمناً بعدالةِ قضيتهِ ،وحقِهِ في القتالِ دفاعاً عنها، فإن كلَّ قوى البغي والضلالِ لن تقدرَ أن تُسكتَهُ أو تقفَ في وجههِ ، أو تَثنيَ من عزيمتِهِ ومضائهِ لأن الحقَ معه ، ومن كان الحقُ معه كان قوياً ولو وقفتْ في وجههِ الدنيا باسرها ، (ولينصُرَنَّ اللهُ مَنْ ينصره إن الله لقويٌّ عزيز. الذين إنْ مكّنّاهم في الأرضِ أقاموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ وأمروا بالمعروفِ ونهوا عنِ المنكرِ ولله عاقبةُ الامور)[3] .

---

(1) الآيتان ٣٢ ــ ٣٣ من سورة التوبة .

(2) الآية ٨ من سورة المنافقون .

(٣) الآيتان ٤٠ ــ ٤١ من سورة الحج .

وقامُ مُسيلمةُ بدورِه يشجعُ جيشَهُ ويحثّـــهُ علـــى القتـــال ويقولُ: اليومَ يومُ الغيرةِ ، اليوم إنْ هُزِمْتـــم تُؤخَـــذ النســـاءُ سبيات، فقاتلوا عن أحسابكم ، وامنعوا[1] نساءكم . وهـــو يقولُ هذا الكلامَ ، ، يدركُ كما يدركُ قومُـــهُ جميعـــاً أنهـــم يقاتلون في سبيلِ قضيةٍ خاسرةٍ ، ويدافعون عن دعوةٍ باطلـــةٍ لا تقومُ على أساسٍ ثابتٍ أو بناءٍ سليمٍ ، وهُمُ(الذين ارتدّوا علـــى أدبارِهِم من بعد ما تبيَّنَ لهمُ الهدى الشيطانُ سوّلَ لهم وأملـــى لهم)[2].

(ولا تُعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريدُ اللهُ أنْ يعذبَـــهم بها في الدنيا وتزهَقَ أنفُسُهم وهم كافرون)[3] ومثلهم(كمثـــلِ الشيطانِ إذ قال للإنسان اكفر فلما كفرَ قال إني بريءٌ منـــك إني أخافُ اللهَ ربَّ العالمين . فكان عاقبتَهُما أنهمـــا في النـــارِ خالديْنِ فيها وذلك جزاءُ الظالمين)[4].

---

(1) امنعوا نساءكم : احموهُنَّ ودافعوا عنهنَّ .

(2) الآية ٢٥ من سورة محمد ﷺ .

(3) الآية ٨٥ من سورة التوبة .

(4) الآيتان ١٦ ـــ ١٧ من سورة الحشر .

(وإذ زَيَّنَ لهُمُ الشيطانُ أعمالهم وقال لا غالبَ لكُمُ اليومَ من الناسِ وإني جارٌ لكم فلمّا تراءَتِ الفئتان نكصَ على عقبيهِ وقال إني بريءٌ منكم إني أرى ما لا ترون إني أخـاف اللهَ واللهُ شديدُ العقاب).[1] .

(يعدُهم ويُمنيهم وما يعدُهُمُ الشيطانُ إلا غروراً)[2].

لقد زَيَّنَ لهُمُ الشيطانُ العملَ والكفرَ ، وزخرفَ لهُمُ القولَ، وورّطَهُمْ في رهانٍ خاسرٍ ، وأوْقعهم في قتالٍ غيرِ متكـافئ ، وعمّا قريبٍ سوفَ يخذُلُهم ويتخلى عنهم وهم في أشدِّ المواقفِ ضيقاً وحرجاً ، ولن يغني عنهم ما جمعوا من قوة ، وما جنَّـدوا من شياطين ، وماروّجوا من أكاذيبَ ، ومـا أحدثـوا مـن أراجيفَ .

ولن يغني عنهم جمعهم ولن تنفعُهم شدتُهم ، ويومَ القيامـةِ يفصلُ اللهُ بينهم (يقولون ياليتنا أطعنا اللهَ وأطعنا الرسولا)[3] يستغيثون باللهِ وهم بين طبقاتِ جهنمَ يُعذَّبون ، يقولون (ربنـا

---

[1] الآية ٤٨ من سورة الأنفال .

[2] الآية ١٢٠ من سورة النساء .

[3] الآية ٦٦ من سورة الأحزاب .

إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذابِ والعنهمْ لعناً كبيراً)[1] .

إنه مشهدٌ من مشاهدِ يومِ القيامةِ بما فيه هولٍ، وبما فيه من عذاب ، وبما فيه من ندمٍ ،وبما فيه من تَحَسُّرٍ وأسى .

إنه مشهدُ الندمِ والأسفِ ، مشهدُ الألمِ والحزنِ ، مشهدُ التبرؤِ والتعادي والتخاصم بين التابعين والمتبوعين ، بين الضالين والمُضلّين ، بين الرؤساء والمرؤوسين ، (إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا ورأوا العذابَ وتقطّعَتْ بهمُ الأسبابُ. وقال الذين اتَّبعوا لو أنَّ لنا كرةًفنتبرأ منهم كما تبرَّءوا منا كذلك يريهمُ اللهُ أعمالهم حسراتٍ عليهم وما هم بخارجين من النارِ)[2] .

يتمنى الكافرون لو يعودون إلى الدنيا ليتداركوا ما فاتهم ، وليصلحوا شأنهم مع ربهم، وليثأروا لأنفسهِم من زعمائهمُ الذين أضلوهم ، وعنِ الهوى صرفوهم ، وعنِ الصراطِ المستقيمِ منعوهم ، وإنها لامنيةٌ ضائعةٌ ، إنها صرخةٌ في وادٍ لا

(٢) الآيتان ٦٧ ــ ٦٨ من سورة الأحزاب .

(٢) الآيتان ١٦٦ ــ ١٦٧ من سورة البقرة .

موضعَ لها ولا استجابةَ فقد فات الأوان ، وقُضيَ الأمرُ وحَقَّ عليهمُ العذابُ . (وبُرِّزَتِ الجحيمُ للغاوين . وقيل لهم أين ماكنتم تعبدون . من دون اللهِ هل ينصرونكم أو ينتصرون . فكُبْكِبوا فيها هم والغاوون . وجنودُ إبليسَ أجمعون . قالوا وهم فيها يختصمون . تاللهِ إنْ كُنّا لفي ضلالٍ مبينٍ . إذ نُسوّيكم بربِ العالمين . وما أضلَّنا إلا المجرمون . فما لنا من شافعين . لا صديقٍ حميمٍ . فلو أنَّ لنا كرةً فنكونَ من المؤمنين)[1] .

هذه هي الحالة النفسيةُ الاليمةُ ،والعذابُ الجسديُّ الدائمُ اللذان يقاسيهما الكافرون والمنافقون، وما يعانون من ندمٍ لاذعٍ ، وأسفٍ قاتلٍ، وألمٍ مُمضٍّ ، وشتّان بين حالةِ الكافرين وحالةِ المؤمنين فأما المؤمنون (أولئك لهم رزقٌ معلومٌ فواكهُ وهم مُكرَمون . في جنات النعيمِ . على سرر متقابلين. يطافُ عليهم بكأسٍ من معين بيضاءَ لذَّةٍ للشاربين . لا فيها غَوْلٌ

---

[1] الآيات ٩١ إلى ١٠٢ من سورة الشعراء .

ولاهم عنها يُنْزَفون وعندهم قاصراتُ الطرفِ عينٌ . كـأنهنَّ بيْضٌ مكنونٌ .[1] .

(إن أصحابَ الجنةِ اليومَ في شُغلٍ فاكهون . هم وأزواجهم في ظلال على الأرائكِ متكئون لهم فيها فاكهةٌ ولهمْ ما يَدَّعون. سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيمٍ) .[2] .

(جناتُ عدْنٍ يدخلونها يُحَلَّون فيها من أساورَ مـنْ ذهبٍ ولؤلؤاً ولباسُهُم فيها حريرٌ . وقالوا الحمدُ لله الذي أذهبَ عنّا الحزنَ إنَّ ربَّنا لغفورٌ شكورٌ. الذي أحَلَّنا دارَ المقامةِ من فضلهِ لا يمسُّنا فيها نصَبٌ ولا يمسنا فيها لغوبٌ)[3] .

يُنادَون وهم في الجنةِ مُرَفَّهون مُنَعَّمون : (ياعبادِ لا خوفٌ عليكم اليومَ ولا أنتم تحزنون .الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنةَ أنتم وأزواجكم تُحْبرون يُطافُ عليهم بصحاف من ذهبٍ وأكوابٍ وفيها ما تشتهيه الأنفسُ وتلذُّ الأعينُ وأنتم فيها خالدون . وتلك الجنة التي أورثتموها بما

---

[1] الآيات ٤١ إلى ٤٩ من سورة الصافات .

[2] الآيات ٥٥ إلى ٥٨ من سورة يس.

[3] الآيات ٣٣ إلى ٣٥ من سورة فاطر .

كنتم تعملون لكم فيها فاكهةٌ كثيرةٌ منها تأكلون)[1] صدق الله العظيم .

بدءُ القتالِ :

تقدم المسلمون بقيادةِ خالدِ بـــنِ الوليـــد ﷺ ، وأخـــذ المسلمون يتسابقون للاستبســـالِ في ســـبيلِ اللهِ ، وفي ســـبيلِ قضيتهم العادلةِ والمقدسةِ .

وقد حمل رايةَ المهاجرين سالمٌ مولى أبي حذيفةَ ، وحمـــــل رايةَ الأنصارِ ثابتُ بنُ قيسٍ .

وأما جيشُ المرتدين فقد تقدَّمَ بقيادةِ مُسيلمةَ بنِ حبيـــبٍ الكذابِ الذي جعل على مجنبتي جيشِهِ المحكمَ بـــنَ الطُفيـــلِ ، والرّجّالَ بنَ عنفوةَ ، وكانا من أشدِ فرسانهِ مهارةً ، وأقواهـــم شكيمةً ، وأدراهم بفن الحربِ والتخطيط للقتالِ وقيادةِ المعاركِ كما كان يعتمد عليهما في كل شيء .

والتقى الجيشان ، وبدأتِ المعركةُ قويةً حاميةً ضاريةً أبلـــى فيها المسلمون بلاءً حسناً ، وثبتوا في وجـــهِ أعدائـــهم ثباتـــاً

---

[1] الآيات ٦٨ إلى ٧٣ من سورة الزخرف .

مُشرفاً، وضربوا أروع الأمثلةِ في التضحيةِ والفداءِ ، والشجاعةِ والمضاءِ وكأنَّ كلَّ فردٍ منهم يشكلُ جيشاً بكاملِهِ سجلها لهُمُ التاريخُ بأحرفٍ من نورٍ ، ويكفيهم فضلاً أنَّ اللهَ تبارك وتعالى وصفهم في كتابِهِ العظيم الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفِهِ تنزيلٌ من حكيمٍ حميد .وخلَّدَ ذكرهم بين ثنايا صفحاته ، قال اللهُ تعالى :

(محمدٌ رسولُ اللهِ والذين معه أشدَاءُ على الكفارِ رُحماءُ بينهم تراهم رُكَّعاً سُجَّداً يبتغون فضلاً من اللهِ ورضواناً سيماهم في وجوههمْ مِنْ أثرِ السجودِ ذلك مثلُهمْ في التوراةِ ومَثَلُهمْ في الإنجيلِ كزرعٍ أخرجَ شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقِهِ يُعجبُ الزُّرَاعَ ليغيظَ بِهِمُ الكفارَ وعدَ اللهُ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ منهم مغفرةً وأجراً عظيماً) [1]

صدق الله العظيم .

وكيف لا يكونون كذلك وهم الذين تربَّوا على مائدةِ القرآن ، ونهلوا منه وتأثروا به ، وتفاعلوا معه ، وعاشوا معه

---

[1] الآية ٢٩ من سورة الفتح .

بالليلِ والنهارِ ، وجعلوه غذاءَ أرواحهم ، وشفاءَ صدورهم ، وقوتَ يومهم ، والتزموا أوامرَه ، واجتنبوا منواهيهَ ، وطبقوا أحكامهُ ، ولبسوه ظاهراً وباطناً ، وفهموا غوامضه وهم الذين يتلون صباحَ مساءَ قولَ الله تعالى : (انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيلِ الله ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون)[1] .

فلا غرو إذن لمن كان حالُهُ كذلك أن يكونَ بركاناً هادراً يدمرُ كل شيءٍ بأمرِ ربه ، أو سيلاً جارفاً لا يترك أمامه شراً أو باطلاً إلا أزاله ، وهكذا كان المؤمنون في كلِ زمانٍ ومكان.

وسلْ حُنيناً وسلْ بدراً وسلْ أحداً فصولُ حَتْفٍ لهم أدهى من الوخمِ[2]
والوردُ يمتازُ بالسيما من السلمِ شاكي السلاح لهم سيما تميزهم[3]

---

[1] الآية ٤١ من سورة التوبة .

[2] الفصول : جمع فصل ، خبر مبتدأ محذوف ، أي هي فصول حتفٍ ، ويجوز نصبها على أنها بدل من الأمكنة الثلاثة ، وهي حنين وبدر وأحد ، وأدهى : أشد داهية . والوخم : الوباء والهلاك .

[3] شاكي : من الشوكة وهي الحدة والشدة ، يقال رجل شاكي السلاح : أي حادّه ، والسلاح : آلة الحرب، والسيما : العلامة ، والسَلَمُ : شجر له شوك يشبه شجر الورد ،

تُهدي إليك رياحُ النصرِ نشــــرَهُمُ فتحسب الزهرَ في الأكمام كلَّ كمي[1]

كأنهم في ظهورِ الخيــــل بنـــتُ رُبــا من شدةِ الحزمِ لا مـــن شدةِ الحُـــزُمِ[2]

طارتْ قلوبُ العدا من بأسِهِم فرَقــاً فما تفرقُ بين البَهــــم والبُهَـــــم[3]

ويمتاز الورد عنه بحسن الخلقة ، وبهاء المنظر ، وطيب الرائحة ، كما أن شجر الورد نــوره أحمر غالباً ، والسلم نَوْره أصفر .

(1) تُهدي : ترسل ، والرياح : جمع ريح ، والنصر : التأييد وقهر الأعداء ، والنشر : الرائحــة الطيبة ، والأكمام : جمع كم بكسر الكاف، وهو الغلاف الذي يغطي الزهـــر، وخـــصَّ الزهر في أكمامه دون غيره لأن كثيراً من النبت له أكمام ، وذلك لكونه أعظم رائحـــة ، وأجمل منظراً ، والكمي : الرجل الشجاع الذي يكمي جسده بالسلاح ، أي يستره .

(2) الربا : جمع ربوة وهي المرتفع من الأرض ، والحزم : ضبط الأمر وقوة الثبات ، والحُـــزُمُ : جمع حزام ، وهو ما يشد به السرج أو غيره على ظهر الدابة. يشبه الصحابـــة رضـــي الله عنهم وهم ممتطون ظهور الخيل بنبتِ الربا في الاستقرار والثبوت ، حتى إنهم لو تحركــــوا عليها ظلوا ثابتين لم ينقلعوا من ظهور الخيل ، وإنما يتحركون للطعن والاتقاء مع ثبـــوت أصلهم كما يتحرك نبت الربا إذا حركته الرياح .

(3) طارت : اضطربت ، والبأس : الشدة والقوة ، والفَرقُ : الفزع ، والبَهم بفتـــح البـــاء: أولاد الضأن وهي السخلة ، والبُهم بضمها وفتح الهاء : هو الشجاع .

صورٌ من بطولاتِ الصحابةِ

وفي خِضَمّ هذه المعركة اللاهبةِ والضاريةِ ، وفـــوق أرض عقرباءَ كانتِ الملحمةُ الكبرى ، والوقعةُ العظمى التي أظهر فيها الصحابةُ بطولاتٍ خارقةً وشجاعةً نادرةً لم يحدثْ مثلها في دنيا الناسِ .

فكانوا يتنادون فيما بينهم ، ويذكّر بعضُهم بعضاً بـــالقرآنِ الذي ذكر اللهُ تعالى فيه ما أعَدَّ للمجـــــاهدين والشـــهداءِ في سبيلِهِ، ويقولون : ياأصحابَ سورةِ البقرةِ بطلَ السحرُ اليومَ .

ولقد سجَّلَ التاريخُ لبعضِ الصحـــبِ الكـــرامِ مواقـــفَ بطوليةًعجيبةً وفائقةً تفوقُ البطولاتِ الأسطورية عظمةً وغرابةً، منهم :

أولاً : زيدُ بنُ الخطاب ﷺ : الذي انطلـــــق في أرضِ المعركةِ يشجعُ المسلمين على القتالِ ، ويحثّهم ويلهب حماسَـــهم للصمودِ في المعركةِ، والثباتِ في وجهِ العدو ويقـــــولُ وهـــو يضربُ بسيفِهِ البتارِ يميناً وشمالاً يقطفُ به رؤوس أهلِ الكفـــرِ

والضلالِ : أيها الناسُ ، عضّوا على أضراسِكم ، واضربــوا في عدوِكم ، وامضوا قدماً .

وبينما هو في حماسِهِ هذا يثير حماسَ المسلمين إذ التقــى في أرضِ المعركةِ بالرّجّال بنِ عنفوةَ لعنَهُ اللهُ فتصدّى له ، وصَمَــدَ أمامَهُ ، وناجزه قليلاً وما هي إلا لحظاتٌ حتى قضــى عليــه وأرداه قتيلاً ، وبمقتلهِ كاد وجهُ المعركةِ يتغيرُ بعــد أن كــان لصالحِ المرتدين في باديء الأمر، والجولةُ لهم على المســلمين الذين هرب بعضهم فتبعهم المرتدون حتى دخلوا خيمةَ خــالدٍ ، وهموا بقتلِ امرأتِهِ أمِ تميم لولا أن أجارها مجاعةُ بنُ مرارةَ الــذي تقدَّمَ ذكرُهُ ، وأن خالداً تركه مقيداً في خيمتِهِ ، فقال مجاعــةُ للمرتدين : دعوها ، نعمتِ الحرةُ هذه .

وبمقتلِ الرّجّالِ على يدِ زيدِ بنِ الخطابِ ﷺ تغــيَّرَ وجــهُ المعركةِ ، ومالَ لصالحِ المسلمين ، وخسر المرتدون بمقتلِهِ فارساً معدوداً يُحسَبُ له حســابُهُ ، ويُعتمــدُ عليــه في النوائــب والشدائدِ.

وما إن علِمَ المرتدون بمقتلِ الرّجّالِ حتى انثنتْ عزائمُـهُم ، وضَعُفَت قوتهم ، وانكسرتْ معنوياتهم ، في حـين ارتفعـتْ معنوياتُ المسلمين ، وازدادوا شجاعةً واستبسالاً .

ولما قتل زيدُ بنُ الخطابِ الرّجالَ لعنه الله أحسّ كأنه قتـل نصف جيشِ المرتدين ، وراح يبحثُ عن فارسٍ آخـرَ يقتلُـهُ ويقولُ : والله لا أتكلم بعد الآن بكلمةٍ حتى يهزمَـهُمُ الله، أو ألقى الله فأكلمَهُ بحجتي ، فقتلَ شهيداً ﷺ وأرضاه .

ثانياً : ثابتُ بنُ قيسٍ ﷺ : الـذي انطلـق وسـطَ المعمعةِ، والمسلمون يتنادون بشعارِهمُ العظيمِ : وامحمـداه ... وامحمداه حتى عانقتْ أصواتُهُمُ السماءَ .

في هذا الجوِ الساخنِ ، والمعركةُ على أشُـدّها ، الأرواحُ تزهقُ ، والمنايا تتواثبُ ، ووسط صلصلةِ السيوفِ ، وقعقعـةِ الرماحِ ، وصهيلِ الخيولِ ، قام ثابتُ بنُ قيسٍ ﷺ فتحنَّـطَ ، وتكَفَّنَ ، وحفر لنفسهِ حفرةً في الأرضِ ثبَّتَ بها قدميه ، وكان يحملُ لواءَ الأنصارِ ، ولم يزلْ ثابتاً في حفرتهِ يقـاتلُ جمـوعَ المرتدين فأبصر من مكانهِ بعضَ المسلمين يـتراجع ، وكـان

يقاتلُ إلى جانبِ سالمٍ مولى أبي حذيفةَ ، فقال : ما هكذا كُنّا نقاتلُ مع رسولِ الله ﷺ ، ثم نادى بأعلى صوتِهِ : اللهم إني أبرأُ إليك مما جاء به هؤلاءِ ، يقصدُ جيشَ المرتدين .

وأعتذرُ إليك مما صنع هؤلاء ـ يقصِد تراجعَ بعضِ المسلمين .

وبينما هو في مكانه وقد ثبَّتَ قدميه في الحفرةِ إذ أصابته طعنةٌ سقطَ منها شهيداً مجيداً ﷺ وأرضاه .

ولقد وقعَتْ لثابتٍ ﷺ بعد استشهادهِ كرامةٌ ظاهرةٌ حفظها له التاريخُ ، وسَجَّلها بأحرفٍ من نورٍ .

روي أنه حين استشهدَ كان يرتدي درعاً نفيسةً، فمرّ به رجلٌ من المسلمين فأخذها عنه وهو يعتقدُ أنه يحقُ له أن يأخذها ، فجاء ثابتٌ ﷺ على رجلٍ من المسلمين في المنام فقال له : إني أوصيكَ بوصيةٍ ، فإياكَ أن تقولَ : هذا حلْمٌ فتضيعهُ ، إني لما قُتلْتُ أمسِ مَرَّ بي رجلٌ من المسلمين فأخذ درعي ، ومنزلُهُ في أقصى الناسِ ، وفرسُهُ يستَنُّ [1] في طولِهِ

[1] يستن : يجري في جهة واحدة .

وقد كفأ برمةً[1] على الدرعِ ، وفوقَ البرمةِ رَحْلٌ ، فأتِ خالداً فمرْهُ أن يبعثَ فيأخذها ، فإذا قدِمْتَ المدينة على خليفةِ رسولِ الله ﷺ أبي بكرٍ، فقلْ له : إنَّ عليَّ منَ الدَّينِ كذا ... وكذا فليقمْ بسداده ، وفلانٌ من رقيقي عتيقٌ .

فلما استيقظ الرجلُ توجَّهَ فوراً ولم يشكَّ في المنامِ ، وذهب إلى القائدِ خالدٍ رضي الله عنه فقصَّ عليه رؤياه ، فأرسل خالدٌ مَنْ يأتي بالدرعِ ، فوجدها كما وصف ثابتٌ في المنام .

ولّما رجع المقاتلون المسلمون إلى المدينة قصَّ الرجلُ رؤياه على الخليفةِ أبي بكرٍ رضي الله عنه الذي صَدَّق بها وعلم أنها رؤيا صالحةٌ وصادقةٌ ، ثم نَفَّذَ لثابتٍ وصيتَهُ .

قال المسلمون : ولا نعلم أحداً أُجيزَتْ وصيتُهُ بعد موتِهِ غيرَ ثابتِ بنِ قيسٍ[2] ، فرضي اللهُ عنه وأرضاه ، وأسكنه فسيح جناته .

---

[1] البرمة: القدر من الحجارة .

[2] البداية والنهاية لا بن كثير .

وهو الذي قال فيه رسولُ الله ﷺ ، فيما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه :

(نعم الرجلُ ثابتُ بنُ قيس بنِ شماسٍ)[1]

ولقد بشرهُ النبيُّ ﷺ بالشهادة فقال له : تعيشُ حميداً ، وتقتلُ شهيداً ، وتدخلُ الجنةَ .[2]

وصدق رسولُ الله ﷺ ، فلقد حدث لثابتٍ رضي الله عنه كما أخبرَهُ ، وهو الصادقُ المصدوقُ .

ثالثاً : سالمٌ مولى أبي حذيفةَ رضي الله عنه :كان رضي الله عنه يحملُ لواء المهاجرين ، يصولُ ويجولُ في أرضِ المعركةِ ، ويشجعُ المسلمين على القتالِ، فقال له المهاجرون : أتخشى أن نؤتى من قبِلكَ[3]...؟

فقال : بئس حاملُ القرآن أنا إن أتيتم من قبلي .

وكان رضي الله عنه يقاتلُ إلى جانبِ ثابتِ بنِ قيسٍ ، فقال معه : ما هكذا كنا نقاتلُ مع رسولِ الله ﷺ ، ثم فعل كما فعل

---

[1] رواه الترمذي .

[2] البداية والنهاية ، والطبقات الكبرى لابن سعد .

[3] نوتى من قبلك : أي من جهتكَ .

ثابتُ بنُ قيسٍ، فقد جعلا معاً يحفران ، كلّ واحدٍ منهما يحفرُ لنفسه حفرةً في الأرضِ ثَبَّتَ بها قدميه ، وبنفسِ الطريقةِ التي استشهدَ فيها ثابتُ بنُ قيسٍ ، استشهدَ سالمٌ مولى أبي حذيفةَ ﷺ وأرضاه .

إنه واحدٌ من الذين قال فيهم النبيُّ ﷺ : خذوا القرآن من أربعةٍ :

عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ، وسالمٍ مولى أبي حذيفةَ ، وأُبِي بن كعبٍ ، ومعاذ بنِ جبلٍ .

وبعد انتهاءِ المعركةِ الخالدة أخذ المسلمون يبحثون عن شهدائهم ، فوجدوا سالماً ﷺ في النزعِ الأخيرِ ، فسألهم عن أخيه في الإسلام أبي حذيفةَ بنِ عتبةَ ، فقالوا له : لقدِ استشهدَ.

فقال لهم : أضجعوني إلى جوارِه .

قالوا : إنه إلى جواركَ ياسالمُ ، لقدِ استشهدَ في نفسِ المكانِ .

ولقد بلغ من عظمةِ هذا الرجلِ العظيم ومكانتهِ في الإسلامِ أن قال عنه عملاقُ الإسلامِ عمرُ بنُ الخطابِ ﷺ :لو كان سالمٌ حياً لولّيتُهُ الأمرَ من بعدي .

ولقد أجمعَ الصحبُ الكرامُ أن سالماً من الصالحين .

فرضي الله عنه وأرضاه ، وأسكنَهُ فسيحَ جناتِهِ .

رابعاً :أبو حذيفة بنُ عتبةَ ﷺ : الذي كان له أيضاً موقفٌ عظيمٌ ومشهودٌ ، فقد أخذ يلهبُ حماسَ المسلمين ، ويحثهم على القتالِ ويقولُ : ياأهلَ القرآن زينوا القرآن بالفعالِ، ثم حمل على المرتدين ، وتصدّى بمفردهِ لجماعةٍ كثيرةٍ منهم وقاتلهم حتى أبعدهم .

وكان أبو حذيفةَ ﷺ قد تعاهد مع أخيه في الإسلامِ سالمٍ مولاه على الشهادةِ في سبيلِ الله ، فلم يزلْ يقاتلُ إلى جانبهِ حتى استشهدَ في مكانهِ وهو يرددُ نشيدَهُ الرائع :

(ياأهلَ القرآن ، زينوا القرآن بالفعالِ) ﷺ وأرضاه ، وأسكنهُ فسيح جناتِهِ .

خامساً : عبدُ الرحمن بنُ أبي بكرٍ ﷺ : الذي أظهر شجاعةً لم توصَفْ ، ولم يرَ الناسُ مثلها في دنياهم .

لقد وقع بصرُه وهو يقاتلُ جموعَ المرتدين على رجلٍ يخطبُ بالمرتدين ويشجعهم على قتالِ المسلمين ، فجعل عبدُ الرحمنِ ﷺ ينظرُ إليه فعلم أنه عدوُّ اللهِ مُحكّمُ بنُ الطُّفيلِ الساعدُ الأيمنُ ، والرجلُ الثاني عند مسيلمةَ الكذابِ بعد الرّجّالِ بنِ عنفوةَ ، فرأى عبدُ الرحمن أن المعركةَ لن تهدأ إلا بمقتلِ ذلك اللعينِ، فسَدَّدَ نحوهُ سهماً لم يخطِىءْ عنقهُ ، وجعل الدمُ ينزفُ منها وهو يتخبطُ بدمائهِ كالثورِ المذبوحِ حتى خرجَتْ روحُهُ إلى جهنم وبئس المصيرُ ، وأراح اللهُ المسلمين بمقتلِهِ ، وتحوَّلَ وجهُ المعركةِ مرةً أخرى لصالحِ المسلمين.وبمقتلهِ خسرَ المرتدون قائداً آخرَ ، ضَعُفتْ عزائمُهم مرة أخرى ، وانكسرتْ معنوياهم ، لترتفع معنوياتُ المسلمين الذين ضاعفوا جهودَهم ، وحملوا على أعدائهم ، وضربوا أروعَ الأمثلةِ في الصبرِ والشجاعةِ والثباتِ حتى فتح اللهُ عليهم ، ونَصَرهم نصراً مؤزَّراً .

وهرب المرتدون أمامهم ، والمسلمون وراءهم يتبعونهم ، ويضعون السيوفَ في رقابهم حتى ألجؤوهم إلى حديقةِ الموتِ... كما سيأتي في موضِعِهِ إن شاء اللهُ تعالى ، ولعلَّ الفضلَ في ذلك بعد فضلِ الله تعالى يعودُ إلى عبدِ الرحمن بنِ أبي بكرٍ ﵁ الذي دخل على رسول الله ﷺ يومَ ماتَ وقد أسندَتْهُ عائشةُ رضي الله عنهما إلى صدرِها ، وكان بيدِ عبدِ الرحمنِ سواكٌ رطبٌ ، فأخذتْهُ عاشةُ ، فقصته وطيبتْهُ ، ثم دفعتْ به إلى رسولِ الله ﷺ الذي أخذه وجعل يستاكُ به ، ثم دعا ربَّهُ قائلاً :(اللهم في الرفيق الأعلى) ، وكأنَّ رسولَ الله ﷺ يريدُ بهذا الدعاءِ عبدَ الرحمن بن أبي بكرٍ ، كأنه يقول : اللهم [illegible] ملهُ معيَ في الجنةِ عند الرفيقِ الاعلى . والله أعلم.

سادساً : البراءُ بنُ معرورٍ ﵁ :ـ كان البراءُ بنُ معرورٍ ﵁ معروفاً أنه إذا كانتِ الحربُ أخذتْهُ العرواءُ[1] وثار كما يثورُ الأسدُ لا يصمدُ له أحدٌ لما يرى من شدة بأسِهِ

---

[1] عرواء : [illegible] لحمى .

وشجاعتِهِ ، ولقد فعل يومئذٍ بالمرتدين الأفاعيل وقتل عدداً من فرسانِهِم وحملةِ ألويتهم .

وثارالمسلمون، وجعلوا يكبرون حتى عَلَتْ تكبيراتهم وارتفعتْ في الأفقِ، ويذكرون أنهم حملةُ القرآنِ الذين أكرمهُمُ اللهُ تعالى بحملهِ في صدورهم ، ومن كان كذلك كان في حصنٍ منيع لا يطالهُ شيءٌ ، ومن كان يحملُ القرآن ويعملُ به لا يخافُ ، ولا يجبنُ ، ولا يهربُ ، ولا يخشى عدواً ، وهو الذي يتلو قولَ الحقِ تبارك وتعالى : (ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهُمُ الأدبارَ . ومَنْ يُوَلِّهمْ يومئذٍ دبُرَهُ إلا متحرفاً لقتالٍ أو مُتحيّزاً إلى فئةٍ فقد باء بغضبٍ من الله ومأواه جهنم وبئسَ المصيرُ) (١).

سابعاً : البراء بنُ مالكٍ ﷺ : وكذلك كان للبراء بنِ مالكٍ ﷺ شرفُ المشاركةِ في تلك المعركةِ الخالدةِ ، وأبلى فيها بلاءً حسناً ، وأظهر بطولةً خارقةً تفوق الخيالَ .

---

(١) الآيتان ١٥ ــ ١٦ من سورة الأنفال .

لقد كان البراءُ ﷺ مع إخوانهِ المؤمنين يطـــاردُ المرتديـــن الذين هربوا أمامهم، وتساقطوا تحـــت ضربـــاتِ ســيوفهم كالذباب حتى دخلوا حديقةَ الموتِ وأغلقوا عليـــهم بابهـــا ، واعتصموا بها هرباً من المسلمين ، فجعل البراءُ ينادي أصحابـهُ يامعشرَ المسلمين ، احملوني وألقوني عليهم في الحديقةِ ... كما سيأتي بعد قليلٍ إن شاء اللهُ تعالى ، فأبصَرهُ القائدُ خـــالدٌ ﷺ فناداه قائلاً : تكلمْ يابراءُ ،فنادى البراءُ بصوتِه الجهوري العذب الجميل : ياأهلَ المدينةِ ، لا مدينة لكمُ اليومَ، إنمـــا هـــو اللهُ والجنةُ.

فكان على أثرِ هذه الكلماتِ العظيمةِ التجاوب الرائع من المسلمين الذين ازدادوا حماساً وشجاعةً عظيمةً ، واستبســـالاً رائعاً يثيرُ العجبَ والاستغرابَ ، ويعطي البشرية كلَّها دروســاً بالغةً في التضحيةِ والفداءِ، والنبلِ والشـــجاعةِ والمضـــاءِ ، ولا غرو.. فهمُ الذين اســـتجابوا للهِ والرســـولِ ، وأطـــاعوا اللهَ والرسولَ ، وآثروهما على النفسِ والأهلِ والولدِ والمالِ والنـــاسِ أجمعين .

ثامناً: أم عمارة نسيبةُ بنتُ كعبٍ المازنية رضي الله عنها :

وكما كان الرجالُ يقاتلون في سبيلِ الله ، كانتِ النساءُ أيضاً يقاتلن إلى جانبِ الرجالِ والإسلامُ لا يمنعُ المرأةَ من المشاركةِ في الجهادِ في سبيلِ اللهِ ، ولكن حسبَ طاقتها واستعدادها ، وما تتحملهُ طبيعتها وجبلَّتُها .

وأمُّ عمارةَ رضي الله عنها من هذا الصنف الرائعِ من النساءِ اللواتي كان لهنَّ شرفُ المشاركةِ والاستبسال في سبيلِ الله تعالى لإعلاء كلمتهِ ، ونشر دينهُ ولو كرهَ الكافرون .

لقد خرجتْ أمُّ عمارةَ لقتالِ المرتدين في اليمامة أقوى ما تكونُ شكيمةً ، وأشدَّ عزيمةً ، وأمضى بلاءً ، لقد خرجتْ لتثأر قبل كلِ شيءٍ لدينها ، ثم لولدها حبيبِ بن زيدٍ من عدوِّ الله مُسيلمةَ ولنصرة الحق ، وقهر الشر والباطل والضلال، وحين بدأ القتال بذلت أمُّ عمارةَ كلَّ طاقاتِها وإمكاناتها من فنون الحربِ والقتالِ حريصةً على قتلِ عدوِّ الله مسيلمةَ ثأراً لدينها ولولدها ولجميع الشهداء ، وتنتهي المعركة الخالدة، بمقتل مسيلمة قيل: على يد ولدها عبدِ الرحمنِ ، وقيل : على

يدِ وحشي قاتلِ حمزةَ عمّ النبيّ ﷺ وهو الأصحُّ كما سيأتي إنْ شاء الله تعالى .

وحين علمت أم عمارةَ بهذا النبأ العظيم سجدتْ شكراً للهِ تعالى ربِ العالمين الذي أراح الإسلام والمسلمين من شرِ مسيلمةَ ، ودعوتِهِ الباطلةِ ، وعقيدتِهِ الفاسدةِ .

تاسعاً : حبيبُ بنُ زيد بنُ أمِّ عمارة رضي الله عنهما :

الذي أبلى يومئذٍ مع أمِهِ بلاءً حسناً ، وشاءتْ إرادةُ اللهِ تعالى أن يقع حبيبُ بنُ زيدٍ في الأسرِ ليذوق العذاب الاليم على يدِ عدوِ الله مسيلمةَ الذي أخذ يعذبهُ ويقولُ له : أتشهدُ أن محمداً رسولُ الله ...؟

فيقول حبيبٌ : نعم ، أشهد .

فيقولُ مسيلمةُ : أتشهدُ أني رسول اللهِ ...؟

فيجيبهُ حبيبٌ : لا أشهدُ .

فجعل مسيلمةُ يقطع أعضاءَه عضواً ... عضواً ، وهو يعيدُ عليه السؤالَ ، وحبيبٌ ثابتٌ لا يتراجعُ عن موقفِهِ ، ولا يبيعُ دينَهُ ، ولا يساومُ على عقيدتِهِ وإيمانهِ باللهِ ورسولِهِ ، ولو

تقطعتْ أعضاؤه ، وتحولَتْ إلى أشلاءَ مُمزّعةٍ فكان حبيبٌ ﷺ إذا ذكرَ أمامه رسولُ الله ﷺ آمَنَ به وصلى عليه ، وإذا ذُكـــر أمامه مسيلمةُ قال : لا أشهدُ، حتى مات على تلك الحـــالِ ﷺ وأرضاه وأسكنه فسيح جناتِهِ .

هزيمةُ المرتدين :

لقد ضرب المسلمون يومَ عقرباءَ أروع الأمثلةِ في الصـــبر والشجاعةِ والثباتِ والاستبسالِ في سبيلِ الله حـــتى فتـــح الله عليهم ، ونصرهـم نصراً مؤزّراً .

وانطلق القائدُ خالدٌ يضربُ بسيفهِ البتارِ رؤوسَ المرتدين، وهو يبحثُ عن مسيلمةَ ليحسمَ المعركةَ بمقتلِهِ ، وكان عدو الله مسيلمةُ كلما رأى خالداً فرَّ من أمامِهِ ، وخالدٌ ﷺ يدعوه إلى القتالِ وهو ينادي بشعارِ المسلمين :

يامحمداه ... يامحمداه ... وهو يطحـــنُ رؤوسَ الكفـــرِ بسيفهِ طحناً ، ويحصدُ رقابهم حصداً لا يقفُ أمامَهُ فـــارسٌ إلا جندلَهُ ، ولا يدنو منه أحدٌ إلا قتلهُ وهـــو يبحـــثُ في أرضِ المعركةِ عن عدوِ اللهِ مسيلمةَ ، حتى أبصَرَهُ فدنا منه وعـــرض

عليه الصلحَ ، وإنهاءَ الحربِ ، وحقنَ الدماءِ ، والرجوعَ إلى الحقِ ، ولكنَّ شيطانَهُ غلبه وسيطر عليه وجعله يرفضُ الصلح والاحتكام إلى العقل ، وورَّطَهُ في قتالٍ غيرِ متكافيءٍ ، وحربٍ لا طائلَ من ورائها سوى الندمِ والذلِ والهزيمةِ والخسرانِ والبوارِ .

بصبر المسلمين وبلائهم تغيَّرَ وجه المعركةِ ، ودارَتِ الدائرةُ على المرتدين الذين فروا أمام المسلمين الذين أخذوا يطاردونهم كالأسود ، والمرتدون يتساقطون كالخفافيشِ تحت ضرباتِ سيوفِ المسلمين الموجعةِ .

ولا يزال المرتدون جادّين في الهربِ حتى دخلوا حديقةً يقالُ لها حديقةُ الموتِ فأغلقوا عليهم بابها ، واحتموا داخلها، هذا والمسلمون يحيطون بها من كلِ جانبٍ ، وقد منعتهم حصونها وأسوارها العالية والمرتفعةُ ، ماذا عليهم أن يفعلوا ، وهاهم أولاءِ المرتدون معتصمون في حديقتهم، وما هي إلا حركةٌ واحدةٌ ، أو خِطَّةٌ محكمةٌ حتى يدخلوا عليهم ويبيدوهم.

هنا انتفضَ البراءُ بنُ مالكٍ ﷺ وقال : يامعشرَ المسلمين، احملوني وألقوني عليهم في الحديقةِ .

فاحتملوه على رؤوسِ الرماحِ ثم رفعوه عالياً فألقوا به من فوق السورِ ، فاجتمع عليه حراسُ الحديقة وجنودُ المرتدين ، فتصدى لهم بمفرده ولم يزل يقاتلهم أمام البابِ حتى فتحه ، ليدخل المسلمون الحديقةَ كالسيلِ الجارفِ ، ثم توزّعوا في أطرافها وهم يقتلون من فيها من المرتدين حتى قتلوا منهم عدداً كبيراً ، فكان المقاتلون لا يمشون إلا فوق جثثِ القتلى .

هذا وقد أصاب المرتدين خوفٌ وفزعٌ كبيران وهم يرون أسودَ المسلمين يوقعون بهمُ الخسائرَ الكبيرةَ ، حتى لقد روي أنهم خسروا يومئذٍ وفي معركةِ الحديقةِ فقط عشرة آلاف رجلٍ، وقيل : أكثر من عشرين الفاً .

مقتل مسيلمة الكذابِ :

ولا يزالُ المسلمون يسيطرون على أرضِ المعركةِ يقتلون من المرتدين حتى انتهوا إلى مسيلمةَ الكذابِ لعنه الله ، فتقدم إليه وحشيٌّ بنُ حربٍ الذي قتلَ حمزةَ ﷺ يومَ أُحدٍ غدراً ،

فسدَّدَ حربتهُ نحو مسيلمةَ وبنفسِ الطريقةِ ، وبنفسِ الحربةِ التي قتل بها حمزة عمَّ النبيِّ ﷺ قتل بها عدوُّ الله مسيلمةَ الكذابَ ، لقد أطلق وحشيٌّ حربتهُ نحو مسيلمةَ فأصاب صدره ، وحرجتْ تلمعُ من ظهره ، فسارع إليه أبو دجانةَ سماكُ بنُ خرشةَ فأجهز عليه بالسيفِ ، فسقط ميتاً عليه لعنةُ الله .

وقيل : إن الذي قتلهُ عبدُ الرحمن بن زيدٍ بنُ أمِ عمارة كما تقدم ... والله أعلم وللجمع بين الروايتين يمكنُ أن يقال إن عبدَ الرحمنِ بنَ زيدٍ شارك أبا دجانةَ فضرب مسيلمة بالسيف فقتلهُ .

فنادت امرأةٌ من القصرِ : وا أمير الوضاءة ، قتله العبدُ الأسودُ ، فكان وحشيُّ بنُ حرب يفخرُ بعملهِ هذا ويقولُ وقد رفع حربتهُ أمام الناسِ مفتخراً : قتلتُ بحربتي هذه خيرَ الناسِ في جاهليتي ، وقتلتُ بها شرَّ الناسِ في إسلامي وانتهتِ المعركةُ الخالدةُ بنصرٍ ساحقٍ للمسلمين ، وهزيمةٍ منكرَةٍ للمرتدين ، وأعزَّ اللهُ الإسلام وأهلهُ ، وأذلَّ الباطلَ وأعوانَهُ ، وخذلَ الشيطانَ وجندَهُ وظلَّتْ وستظلُّ كلمةُ اللهِ هي العليا،

ولتبقى كلمةُ الذين كفروا السفلى ،وأعاد الإسلامُ نشر لوائِـــهِ فوق أرضِ اليمامةِ وغيرها من بلادِ المرتدين ، وأتمَّ تماسُكَ بنيانهِ قوياً عزيزاً ، كريماً شامخاً (يريدون أن يطفئوا نورَ الله بأفواههم ويأبى اللهُ إلا أن يتمَّ نوره ولو كره الكافرون) [1] .

وبعد انتهاء المعركةِ الخالدة ذهبَ خالدٌ ﷺ يتفقد شـــهداءَ المسلمين ، ثم بعث جنوده ليطوفوا حولَ اليمامةِ ويأخذوا مــــا فيها من غنائمَ ، دعا مَنْ بقيَ مِنْ أهلها إلى الإسلامِ ، فأســلموا ورجعوا مذعنين إلى الحقِ ، فردَّ عليهم بعضَ ما كان أُخِذَ منهم من السبي ، وساق الباقين إلى المدينةِ .

وقد أخذ عليٌّ بنُ أبي طالب ﷺ منهم جاريةً ، وهـــي أمُّ ولده محمدٍ الذي يقال له : محمدُ بنُ الحنفيةِ ﷺ.

وخرج خالدٌ ﷺوأخذ معه مجاعةَ بنَ مـــرارةَ يرســـفُ في قيودهِ يبحثُ معه عن مسيلمةَ ليعرّفَهُ به ، فلما أبصرا الرَّجّـــال ابنَ عنفوةَ قال له خالد : أهذا هو ...؟

---

[1] الآية ٣٢ من سورة التوبة .

قال : لا ، والله هذا خيرٌ منه ، هذا الرّجال بنُ عنفوة .

ثم أبصرا رجلاً أصفرَ أخنسَ [1] فقال مجاعةُ : هذا صاحبكم .

فقال له خالدٌ ﷺ : قبحكُمُ اللهُ على اتّباعِكم هذا ...!!

الخاتمة :

يقولُ أبو رجاء : دخلتُ المدينة فرأيت الناسَ مجتمعين ، ورأيتُ رجلاً يقبل رأس رجلٍ ويقولُ له : أنا فداءٌ لك ، لولا أنتَ هلكنا .

فقلتُ : مَنِ المقبِّلُ ، ومَنْ المقبَّلُ ... ؟

فقالوا : ذلك عمرُ يقبلُ رأسَ أبي بكرِ الصديقِ في قتاله أهلَ الردّةِ حين منعوا الزكاةَ حتى أتوابها صاغرين .

فرضي اللهُ عنِ الصديقِ ، ونضَّرَ وجهَهُ ، وشكر سعيهُ ، وجزاه عنِ الإسلامِ والمسلمين خيرَ الجزاء .

ورضي اللهُ عن خالدٍ ، وعن جميع شهداءِ المسلمين في معركةِ اليمامةِ وغيرها من المعاركِ والغزواتِ ، وقبِلَ عملهم ،

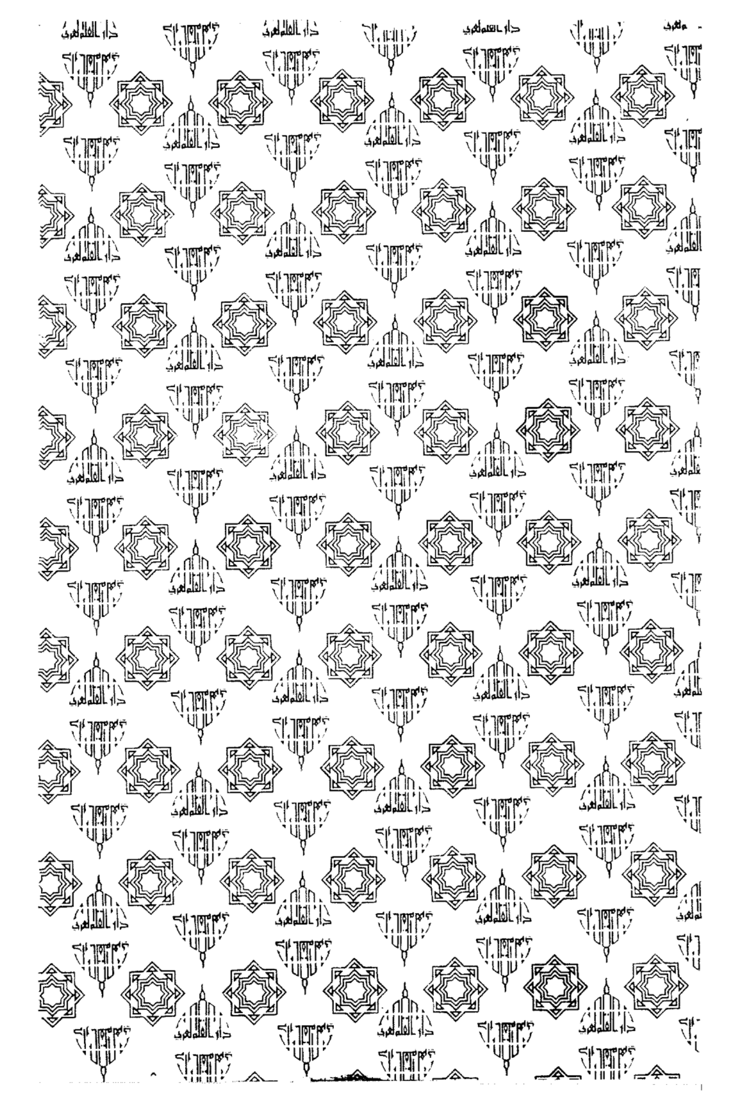
[1] الأخنس : هو أفطس الأنف .

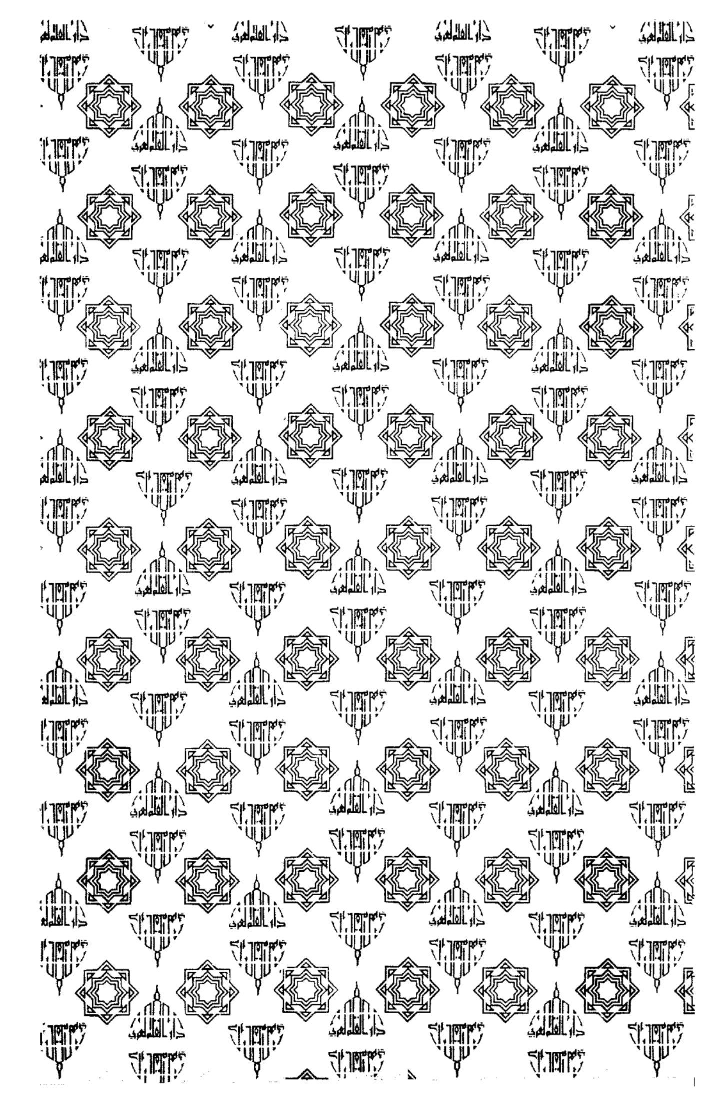
وغفرلهم ما تقدَّم من ذنوبهم ، وأسكنهم فسيحَ جناتِهِ مع الذين أنعم اللهُ عليهم من النبيّينَ والصّدِيقين والشــــهداءِ والصـــالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً .

تمتِ الرسالةُ والحمدُ للّهِ رب العالمين
وإلى اللقاء مع معركةٍ إسلاميةٍ أخرى .

الفهرس




دار القلم العربي



معارك عربية إسلامية خالدة

للصغار واليافعين

لم تكن الحربُ لدى العرب المسلمين غايةً لذاتها ، وإنما كانت لردّ العدوان
الأخطار ، ولإزاحة أولئك الذين يقفون في وجه الدعوة ويحولون دون إ
وهي معارك تشمل على بطولات وتضحيات وجود بالنفس (والجودُ بالنف
غاية الجود).

ودار القلم العربي للأطفال بحلب - إذ تنشر هذه الكتب - إنما تسعى إلى أ
نفوس الأبناءحبَّ التضحيةِ والفداء ، وحبَّ آبائهم الذين بذلوا دماءهم ا
شامخةً لايدنّسها مستعمرٌ غاشم.

والله من وراء القصد

الناشر



I.S.B.N: 1 - 5050 -

